الاغتراب في شعر عليِّ بن المُقرَّب العُيُوني

أ.م.د / أسامة لطفي الشوربجي
أستاذ الأدب العربي المساعد
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس

الملخص:

يشكل الاغتراب ظاهرة أدبية بارزة في أدبنا العربي منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، وذلك لارتباطها الوثيق بذات الأديب خاصة وبالوجود الإنساني عامة، وقد اكتوى بنيرانها كثير من الأدباء، وانعكس ذلك جليا في نتاجهم، فالأدب العربي في مجمله أدب مغتربين في الجاهلية والإسلام.

عاش ابن المقرب في القرن السابع الهجري، وهو أحد أمراء الدولة العيونية، التي حكمت إقليم البحرين، بعد القضاء على البرامكة، وعاصر أحداثا مضطربة وقلقة، أثرت في نفسيته ونتاجه الشعري، ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن مظاهر الاغتراب في شعر ابن المقرب، وتنبع أهميته من عدة أسباب، أهمها:

١- يمثل الاغتراب ظاهرة بارزة في شعر ابن المقرب، ومع ذلك لم ينل هذا الجانب عناية الباحثين، ولم يحظ بدراسة متعمقة.

٢- الكشف عن جانب مهم من جوانب شعر ابن المقرب، وإلقاء الضوء على شعر شاعر كبير، لم يلق الاهتمام الكافي من الباحثين.

٣- قلة الدراسات التي تناولت شعر ابن المقرب بالدراسة والنقد، حيث لا تتجاوز هذه الدراسات أصابع اليدين.

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على دراسة الظاهرة من خلال الديوان وتحليلها وتفسيرها، ويشتمل على أربعة محاور:

يتناول المحور الأول مفهوم الاغتراب وإبراز الفوارق بينه وبين مصطلح الغربة.

ويتحدث المحور الثاني عن البواعث أو الأسباب التي قادت ابن المقرب إلى الشعور بالاغتراب.

ويدرس المحور الثالث أنماط الاغتراب في شعر ابن المقرب، وقد جاءت في أربعة أنماط رئيسة، هي: الاغتراب السياسي، والاغتراب الاجتماعي، والاغتراب الزماني، والاغتراب المكاني.

ويختص المحور الرابع بدراسة الوسائل التي لجأ إليها ابن المقرب لتجاوز الشعور بالاغتراب، وتخطي مشاعر القهر والعجز. وأخير الخاتمة وتشمل أهم النتائج، التي توصل البحث إليها، ثم قائمة المصادر والمراجع.

Abstract:

Alienation is a prominent literary phenomenon in our Arabic literature from the pre-Islamic era until today, due to its connection with the writer himself in particular and the human existence in general.

Ibn Al-Muqarrab lived in the seventh century AH. He is one of the princes of the Ayyunid State, which ruled the region of Bahrain, after the elimination of the Barakamah, and he experienced turbulent and anxious events that affected his psyche and poetic product.

This study is important for the following reasons:

1-Alienation is a prominent phenomenon in the poetry of Ibn Al-Muqarrab, yet this aspect has not received the attention of researchers, nor has it been studied in depth.

2-Uncovering an important aspect of Ibn Al-Muqarrab's poetry, and shedding light on the poetry of such a great poet, has not received enough attention from researchers.

3-Lack of critical studies that dealt with Ibn Al-Muqarrab's poetry, as these studies did not exceed the number of fingers of the hands.

This research is based on the descriptive analytical method, which is based on studying the phenomenon through the collection by analyzing and interpreting it .

It includes four perspectives:

-The first perspective deals with the concept of alienation and highlight the differences between it and the term alienation.

-The second perspective talks about the motives or the reasons that led Ibn Al-Muqarrab to feel alienated.

-The third perspective studies the patterns of alienation in the poetry of Ibn Al-Muqarrab. It consists of main patterns: political alienation, social alienation, temporal alienation, and spatial alienation.

-The fourth perspective is concerned with studying the means used by Ibn Al-Muqarrab to overcome the feelings of alienation, oppression and impotence.

المقدمة:

يشكل الاغتراب ظاهرة أدبية بارزة في أدبنا العربي منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، وذلك لارتباطها الوثيق بذات الأديب خاصة وبالوجود الإنساني عامة، وقد اكتوى بنيرانها كثير من الأدباء، وانعكس ذلك جليا في نتاجهم، فالأدب العربي في مجمله -كما يرى د. عبده بدوي - أدب مغتربين في الجاهلية والإسلام[1]

عاش ابن المقرب في القرن السابع الهجري، وهو أحد أمراء الدولة العيونية، التي حكمت إقليم البحرين، بعد القضاء على البرامكة، وعاصر أحداثا مضطربة وقلقة، أثرت في نفسيته ونتاجه الشعري، ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن مظاهر الاغتراب في شعر ابن المقرب، وتنبع أهميته من عدة أسباب، أهمها:

٤- يمثل الاغتراب ظاهرة بارزة في شعر ابن المقرب، ومع ذلك لم ينل هذا الجانب عناية الباحثين، ولم يحظ بدراسة متعمقة.

٥- الكشف عن جانب مهم من جوانب شعر ابن المقرب، وإلقاء الضوء على شعر شاعر كبير، لم يلق الاهتمام الكافي من الباحثين.

٦- قلة الدراسات التي تناولت شعر ابن المقرب بالدراسة والنقد، حيث لا تتجاوز هذه الدراسات أصابع اليدين.

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على دراسة الظاهرة من خلال الديوان وتحليلها وتفسيرها، ويشتمل على أربعة محاور:

يتناول المحور الأول مفهوم الاغتراب وإبراز الفوارق بينه وبين مصطلح الغربة.

ويتحدث المحور الثاني عن البواعث أو الأسباب التي قادت ابن المقرب إلى الشعور بالاغتراب.

ويدرس المحور الثالث أنماط الاغتراب في شعر ابن المقرب، وقد جاءت في أربعة أنماط رئيسة، هي: الاغتراب السياسي، والاغتراب الاجتماعي، والاغتراب الزماني، والاغتراب المكاني.

ويختص المحور الرابع بدراسة الوسائل التي لجأ إليها ابن المقرب لتجاوز الشعور بالاغتراب، وتخطي مشاعر القهر والعجز. وأخير الخاتمة وتشمل أهم النتائج، التي توصل البحث إليها، ثم قائمة المصادر والمراجع.

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الاغتراب في الدراسات الأدبية من أهمها: كتاب الاغتراب في الشعر العراقي مرحلة الرواد للدكتور / محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري للدكتور / أحمد الفلاحي، دراسة تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر للدكتور / عادل هندواي، كما أسهمت بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في معالجة هذه الظاهرة، مثل: الاغتراب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، للباحث صغير غريب العنزي، رسالة ماجستير جامعة أم القرى.

أما عن الدراسات التي دارت حول ابن المقرب فهي قليلة، ودارت كلها في فلك حياته وشعره، مثل: علي بن المقرب العيوني حياته وشعره للدكتور/ علي الخضيري، ابن مقرب العيوني حياته وشعره للدكتور/ سامي جاسم، ابن المقرب العيوني حياته وشعره لعمران بن محمد عمران، التجربة الشعرية عند ابن المقرب للدكتور عبد العزيز قلقيلة.

المحور الأول: مفهوم الاغتراب

بادئ ذي بدء نود أن نفرق بين مفهوم الغربة والاغتراب، حيث يلحظ الباحث أن هناك خلطا وتداخلا بين المفهومين، مما قد يؤدي إلى الالتباس والغموض، خاصة أن الجذر اللغوي للمفهومين واحد، وقد ربطت المعاجم اللغوية بينهما ربط ترادف [٢] وردت مادة "غرب" في المعاجم اللغوية حول عدة معاني أهمها: النزوح عن الوطن، البعد عن الأهل والناس، الزواج إلى غير الأقارب [٣]

وقد تلمس بعض الباحثين ثمة فروق بين الغربة والاغتراب، فيرى د. الفلاحي أن الغربة ابتعاد عن الوطن، فهي نزوح خارجي، أما الاغتراب فهو نزوح نفسي داخل الإنسان، لا يتحدد بوقت أو مكان [٤] "فالغربة تعني الانتقال والبعد والنزوح، فهي بذلك تشير إلى الخارج الإنساني،..... أما الاغتراب فهو يشير إلى الداخل الإنساني، بوصفه شعورا أو إحساسا يرتبط بمن يحس به، أو حالة تتولد نتيجة عوامل وظروف وتراكمات نفسية كثيرة، نتجت عن الغربة"[٥]

فمصطلح الغربة ينحصر في الانتقال المكاني والابتعاد عنه الأهل والأحباب جسديا، وشعور الإنسان أنه غريب عن كل ما حوله في المكان الجديد، الذي انتقل إليه، أما مصطلح الاغتراب فإنه أكثر عمقا واتساعا من مصطلح الغربة، حيث يدور حول المشاعر التي تعتري الإنسان أثناء غربته عن وطنه أو أثناء غربته في وطنه وبين أهله، حيث يثير فيه مشاعر العجز والقهر وعدم الانتماء، فيشعر أنه مسلوب الإرادة والقدرة، لا قيمة له في مجتمعه، يحيا في عالم آخر منفصلا عن الآخرين، عاجزا عن إقامة علاقات ودية معهم.

الاغتراب مصطلح متعدد الأبعاد، تتنازعه عدة علوم كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وكل علم ينظر إليه من زاوية مختلفة، بل ربما ينظر إليه عالم من زاوية تباين رؤية زميله في نفس المجال أو التخصص، وذلك تبعا لاختلاف المذهب الذي ينتمي إليه كلاهما، أو الظروف التاريخية التي مرت بهما، ومن هنا تشعب مفهوم الاغتراب، وتباينت فيه الآراء[٦]

وعلى الرغم من تشعب مفهوم الاغتراب إلا أن هناك اتفاقا بين الباحثين على العديد من مظاهره وأبعاده، وقد أشار ميلفن سيمان إلى أن هناك خمسة مكونات أو أبعاد يتشكل منها الاغتراب، هي[٧]:

١- **العجز أو انعدام القدرة**

يقصد به شعور المرء أنه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية، التي تحيط به، فلا يمكنه أن يؤثر في مجرى الأحداث أو صنع القرارات المصيرية.

٢- فقدان المعنى

حيث يشعر الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لكونها تسير وفق منطق غير مفهوم، وبالتالي يفقد واقعيته.

٣- فقدان المعايير

وهي حالة انهيار المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد، فأشكال السلوك التي كانت مرفوضة اجتماعيا أصبحت مقبولة، حيث يلجأ الأفراد إلى استخدام أساليب غير مشروعة لتحقيق أهدافهم.

٤- العزلة

يقصد بها افتقاد الفرد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الدافئة، والبعد عن الآخرين، حتى وإن وجد بينهم، وتبنيه مبادئ ومفاهيم مخالفة، فيصبح غير قادر على مسايرة الأوضاع السائدة.

٥- غربة الذات

تعني أن يدرك الفرد أنه أصبح مغتربا حتى عن ذاته، غير قادر على التواصل مع نفسه، حيث تسير حياته بلا هدف، ويحيا لكونه مستجيبا لما تقدمه له الحياة.

وقد عايش أبو حيان التوحيدي الاغتراب بوصفه تجربة خاصة، وقدم لنا وصفا لأحوال المغترب وصورة صادقة وكاملة له، يقول " فأين أنت من قريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان ؟ وقد علاه الشحوب، وهو في كِنّ، وغلبه الحَزن حتى صار كأنه شَن، إن نطق نطق خزيان متقطعا، وإن سكت سكت حيران مرتدعا، وإن قرب قرب خاضعا، وإن بعد بعد خاشعا، وإن ظهر ظهر ذليلا، وإن توارى توارى عليلا، وإن طلب طلب واليأس غالب عليه "[٨]

ويعرف د. عزت حجازي الإنسان المغترب بقوله "هو الإنسان الذي لا يحس بفاعليته ولا أهميته ولا وزنه في الحياة، وإنما يشعر بأن العالم (الطبيعة، والآخرين، بل وذاته)- على عكس ذلك – غريب عنه، يوجد بعيدا عنه وفوقه، حتى ولو كان من خلقه هو" [٩]

المحور الثاني: بواعث الاغتراب

لا ريب في أن العامل السياسي يعد من أهم الأسباب التي دفعت بشاعرنا دفعا إلى الشعور بالاغتراب، لأن كثيرا من الأحداث السياسية التي عاصرها خلقت لديه أنماطا من العجز والخيبة والحرمان والشعور بالاغتراب، لذلك يرى الباحث أن يلم بالأحوال السياسية للدولة العيونية إلماما سريعا.

نشأ ابن المقرب في بيت عز وسيادة – ولد عام ٥٧٢ هـ، وتوفي عام ٦٣٠ هـ- فهو ينتمي إلى الأسرة العيونية، التي حكمت البحرين، والتي استطاع مؤسسها عبد الله بن علي العيوني

– الجد السادس لشاعرنا – القضاء على حكم القرامطة في البحرين، وتأسيس الدولة العيونية، التي امتدت من عام ٤٦٨ هـ إلى عام ٦٣٦ هـ، ولفظ البحرين – في ذلك الوقت – كان يطلق على البلاد الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي من البصرة شمالا حتى عُمان جنوبا.(١٠)

مر الحكم العيوني في البحرين بأربعة مراحل، كان في المرحلة الأولى منها قويا ومتماسكا خلال حكم المؤسس عبد الله بن علي وولده الفضل وحفيده أبي سنان محمد بن الفضل.

ثم بدا ضعيفا متداعيا في المرحلة الثانية، التي بدأت عام ٥٣٨ هـ، وذلك بعد مقتل الأمير أبي سنان محمد بن الفضل، حيث أخذ الصراع على السلطة يتأجج أواره بين الأمراء العيونيين لمعارضتهم بقاء الحكم في سلالة الفضل، مما أدى إلى انقسام الحكم في البحرين إلى إمارتين مستقلتين: الأولى في القطيف وجزيرة أوال تحت حكم آل الفضل، والأخرى في الأحساء تحت حكم آل أبي منصور علي بن عبد الله.

ثم استعاد قوته في المرحلة الثالثة، ويمثلها الأمير محمد بن أبي الحسين بن الفضل، الذي تولى الحكم عام ٥٨٧ هـ، واستمر فيه ثمانية عشر عاما، واستطاع إعادة بناء الدولة وتوحيدها، وفرض سيطرته على الأحساء عام ٥٩٩ هـ، ومن ثم فرض سيطرته على جميع أراضي البحرين، وأرسى دعائم الأمن والاستقرار، كما ارتبط بصلات وثيقة مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وعلى الرغم مما تمتع به من صفات كريمة إلا أنه كان هدفا لمؤامرة غادرة، أدت إلى مقتله عام ٦٠٥ هـ.

وتأتي المرحلة الرابعة إثر اغتيال الأمير محمد بن أبي الحسين، وهي مرحلة ضعف الدولة العيونية وزوالها، حيث انشطرت مرة أخرى إلى إمارتين، ونهض الأمير الفضل بن محمد للثأر من قاتل أبيه، واستعاد حكم القطيف وجزيرة أوال وذلك بمساعدة الخليفة العباسي الناصر لدين الله، الذي أمده بالمال والسلاح والرجال، وكان لشاعرنا دور في نقل المؤن من بغداد إلى البحرين.

وانتقل الحكم في الأحساء في أعقاب وفاة الأمير محمد بن الحسين إلى بيت أبي منصور، فتولى الحكم فيها الأمير ماجد بن محمد، وكانت فترة ولايته بداية ظهور الخراب في البلاد والتفريط في ممتلكات أهلها، ثم تولى بعده ابنه محمد، الذي ألقى القبض على شاعرنا، وزج به في السجن، وصادر أمواله وممتلكاته، ثم أفرج عنه بعد مدة دون أن يعيد إليه أمواله، وتولى الحكم خلال هذه المرحلة – التي استمرت ثلاثين عاما – أكثر من عشرة أمراء، وكان شاعرنا معاصرا لهؤلاء الأمراء وشاهدا على ما جرى بينهم من صراع ونزاع، أدى إلى ضعف الدولة العيونية وزوالها بعد وفاته بقليل، فقد كانت وفاته عام ٦٣٠ هـ(١١)

يبدو من خلال هذا العرض الموجز لتاريخ الدولة العيونية أن الحكم فيها توارثه آل الفضل بن علي وآل أبي منصور علي بن عبد الله، أما شاعرنا فهو من سلالة ضبار بن عبد الله، ولم تكن لهذا الفرع مشاركة تذكر في الحكم سوى الاقتصار على ولاية بلد صغير تحت حكم الأمراء العيونيين من آل الفضل أو آل أبي منصور علي.(١٢)

كانت علاقة شاعرنا بآل الفضل وثيقة، فقد وقف بجانب الأمير الفضل بن محمد لمساعدته في أخذ الثأر من قتلة أبيه، وساعده في نقل المؤن من بغداد إلى البحرين، الأمر الذي جر عليه عداوة آل علي بن عبد الله، فسجنوه، وصادروا أمواله، واستولوا على ممتلكاته، وفي المقابل يبدو أن علاقته بآل الفضل قد ضعفت، حيث تخلوا عنه، وقابلوه بالجفاء والبعد، وتقاعسوا في رد أمواله إليه، الأمر الذي أحال حياته بؤسا وشقاء.(١٣) فيقول معاتبا الأمير فضل بن محمد:

تَجَافَ عَنِ العُتْبَى فما الذَّنْبُ واحِدٌ وَهَبْ لِصُرُفِ الدَّهْرِ ما أنْتَ وَاجِدُ
إذا خَانَكَ الأدْنَى الذِي أنتَ حِزْبُهُ فلا عجَبًا لوْ أسْلمَتْكَ الأباعِدُ(١٤)

ويعاتب الأمير مقدم بن ماجد من آل الفضل، مذكرا إياه بأنه ألقي في السجن وصودرت أمواله بسبب ولائه لآل الفضل، يقول:

ولولا هواكُمْ ما شَقِيتُ ولا غَدَا يَصُكُّ برجْلي القيْدَ مَنْ لا أُشاغِبُهْ

ولا اجْتاحَتِ الأعداءُ مالي ولا انْبَرَى يطاوِلُني مَنْ ليْسَ تُحْصَى معائبُه

ولا نَبَحتْ شَخْصِي كلابُ ابنِ ماجِدٍ عِلاتًا ولا بالتْ عَليَّ ثعالِبُهْ(١٥)

لقد تضافر العامل السياسي مع العامل الاقتصادي في دفعه إلى الشعور بالاغتراب، حيث فقد شاعرنا أمواله وممتلكاته في خضم الصراع الذي استفحل للاستيلاء على السلطة بين آل الفضل وآل علي، فعانى الفقر والحرمان بعد الغنى والثراء، فتضاعفت همومه، وسيطر عليه إحساس بالعجز والقهر، الأمر الذي أسهم في مضاعفة شعوره بالاغتراب.

فيستعطف الأمير محمد بن ماجد عندما ملك الأحساء برد بعض أمواله وأملاكه المصادرة، يقول:

فَصُنْ حُرَّ وجْهي عَنْ سُؤَالٍ فإنّهُ عَليَّ ولو عاشَ ابنُ زائدةِ صَعْبُ
ورُدَّ يَسيرًا مِن كثيرٍ تُغِثْ بِه فِراخًا قد اسْتَوْلى علَى رَبْعِها الجَدْبُ(١٦)

وكان من نتاج هذه العلاقة المتداعية بأبناء عمه أن شاعرنا قضى معظم حياته مشردا متنقلا بين البلاد، يعاني مرارة الغربة وألم الاغتراب، يشكو ظلم الأهل، وما لقيه من جحود وأذى أبناء عمه، وتفاقم اغترابه عندما أدرك ببصيرته قرب زوال الدولة العيونية، وشاهد بعينيه ضعف الأمراء العيونيين، وتنازلهم لأعدائهم عن ممتلكاتهم مقابل البقاء على كرسي الإمارة، فأخذ يتحسر على الدولة المسلوبة والملك الضائع، فتكالبت عليه همومه الخاصة وهموم دولته، واكتنفه شعور بالعجز والانكسار، فازدادت مشاعر الاغتراب لديه قوة ولهيبا. يقول:

يا ضَيْعَةَ السَّعْيِ يا خُسْرَانَ صَفْقَتِنَا يا شُؤْمَ حَاضِرِنَا الأَشْقَى وَبَادِيْنَا
كُنَّا نَخَافُ انْتِقالَ المُلْكِ في مُضَرٍ فَمَرْحَبًا بِكَ يا مُلْكَ اليَمَانِينَا
فَلوْ تَوَلَّتْ مُلوكُ الرُّومِ ما بَلغَتْ مِعْشَارَ ما صَنَعَتْ إخْوانُنَا فِينَا(١٧)

وثمة عامل آخر مهم أسهم في شعوره بالاغتراب، ألا وهو العامل الاجتماعي، حيث يبدو أن تدهور الأوضاع السياسية قد رافقه تدهور في أخلاق الناس واختلال في المعايير الاجتماعية، فانتشرت كثير من الأوبئة الاجتماعية، التي لم يستطع التكيف معها كالرشوة والنفاق والحسد، ويبدو أيضا أن شاعرنا افتقد في وطنه مشاعر المودة والمحبة، فقد عانى من غدر الأصدقاء، كما عانى من خذلان الأهل والأقارب، فتضاعفت الهموم على نفسه، وشعر بالوحدة والاغتراب والرغبة في الانفصال عن مجتمعه.

يسخر ابن المقرب من تفشي الرشوة في مجتمعه، حتى صارت عادة جارية في قضاء الحاجات، فهي مهمة في كل المعاملات، حتى ولو كانت قليلة أو تافهة، فهي تؤدي إلى إبطال الحق وإحقاق الباطل، وقومه يسمون الرشوة هدية لإخراجها عن حقيقتها، يقول:

عَليَكَ الهَدِيَّةَ إنِّي رَأَيْتُ لهَا عِنْدَنَا اليَوْمَ شأنًا عَظِيمَا
تُجِيزُ لِذِي الحُمْقِ أنَّ أرادَ حَمَاقتَه وتُعِزُّ اللئِيمَا
وأيْسَرُ شيءٍ يَحُلُّ العُقُودَ ويُصْبِحُ مُهْدِيهِ موسَى الكَلِيمَا
فكَمْ مِنْ بُطَيْطِيخةٍ بَرَّدَتْ لوَافِحَ مِنْ قَبْلُ كانَتْ سُمُومَا

وَكَمْ جُلَّةٍ عَمَّرَتْ مَنْزِلاً وَأبْقتْ مَنَازِلَ قوْمٍ رُسُومَا
فَلا تَحْقِرَنَّ قلِيلَ الهَدَايَا فَرِيحُ الدَّوَاءِ يخِيطُ الكُلُومَا[١٨]

إن هذه الأحداث التي مرت بشاعرنا –كما يرى د. على الخضيري – أدت إلى سيطرة القلق النفسي عليه نتيجة عدم استقراره في حياته، حيث عاش معظم حياته مغتربا عن وطنه وفي وطنه، يرى الهموم والرزايا، وقد تكالبت عليه، يتألم للقطيعة التي فرقت بينه وبين أبناء عمه، يتحسر للحال التي آلت إليها الدولة العيونية، فيقول " إن اضطرابه النفسي وقلقه ليلازمانه ليس في الغربة والبعد عن الوطن فحسب، بل وفي بلده وبين أهله وعشيرته، فالحياة في البلد الذي لقي فيه العذاب والسجن والهوان، وبين قوم يضمرون له الكراهية والحقد، هي أشد على نفسه من كثرة السفر والترحال"(١٩) الأمر الذي رسخ في نفسه مشاعر الحزن والاغتراب.

المحور الثالث: أنماط الاغتراب

يمكن حصر الاغتراب في شعر ابن المقرب في أربعة أنماط رئيسة، وهناك تداخل وترابط بين هذه الأنماط، ولكن جاء الفصل بينها من أجل الدراسة.

١– الاغتراب السياسي

يتمثل الاغتراب السياسي في الشعور بالعجز والعزلة عن المشاركة الإيجابية الفعالة في صنع القرارات السياسية، حيث يشعر المرء بأنه ليس له دور في العملية السياسية، وأن صانعي القرارات السياسية لا يعملون له حسابا، على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد، ولا يأخذ به أحد ، الأمر الذي يدفعه إلى عدم الرضا أو عدم الارتياح للقيادة السياسية، والرغبة في الابتعاد عنها وعن النظام السياسي برمته.[٢٠]

لاشك في أن الضعف الذي أصاب الدولة العيونية في أواخر أيامها قد انعكس على نفسية شاعرنا، فأثار فيها مشاعر الخوف والقلق على ضياع ملك أجداده، فقد أضحت البلاد عرضة لغارات الأعداء من الخارج، وتنامى نفوذ أهل البدو في الداخل، وأصبحت البلاد تموج بصنوف الفتن والاضطرابات، ووقف شاعرنا من حكام البحرين موقف الناصح الأمين، فأخذ يذكرهم بمآثر أجدادهم، ويحذرهم من الركون إلى أعدائهم، لكنهم صموا آذانهم عن ندائه، ولاقى منهم العناد والجفاء، فدفعته هذه الأوضاع إلى الشعور بغربة سياسية، نتيجة عجزه عن التأثير في القرارات السياسية التي يتخذها أمراء البحرين.

يروى أن الأمير أبا القاسم مسعود بن محمد اعتمد في إدارته لشئون البلاد على رجال من خارج الأسرة العيونية، كان يظن فيهم الوفاء والإخلاص، ولا يسمع، ولا يفعل إلا ما يرونه، ويشيرون عليه به، ولكنهم في الحقيقة كانوا منافقين، يسعون في هلاك دولته وقلع آثار أهل بيته، فحثوا أهل البادية على مهاجمة الأحساء، ومن جهة أخرى نصحوا الأمير أن البلد لا تحتمل الحرب، وأن عليه أن يصالح أهل البدو، فانصاع الأمير لنصائحهم، ورهن ممتلكات أهل بيته للبدو، نظير مبلغ من الذهب يدفعه إليهم، وقد أغضبت هذه الأحداث شاعرنا، فانطلق يقول متوجعا:

بَعْضُ الذِّي نَالَنَا يا دَهْرُ يَكْفِيْنَا فامْنُنْ بِبُقْيَا وَأَوْدِعْهَا يَدًا فِيْنَا
إنْ كانَ شأْنُكَ إرْضَاءَ العَدُوِّ بِنا فَدُوْنَ هَذا بِهِ يَرْضَى مُعادِيْنَا
الحَمْدُ للهِ حَمْدًا لا نَفادَ لهُ إذْ لمْ يَكُنْ صَفْعُنَا إلاّ بأيْدِيْنَا
خَافَتْ بَنُو عَمِّنَا أمْرًا يُعاجِلُهَا مِنْ قَبْلِ إلْحَاقِ تَالِيْنَا بِمَاضِيْنَا
وَاستَيْقَنَتْ أنَّ كُلَّ المُلْكِ مُنْتَزَعٌ وَلوْ تَمكَّثَ في أرْبَابِهِ حِيْنَا
وحَاذَرَتْ دَوْلةً في عَقْبِ دَوْلَتِهَا تَأتِيْ سَرِيْعًا فَتُلقِي سُمَّهَا فِيْنَا
فَلمْ تَدَعْ لِمُرَجِّي سَلْبِ نِعْمَتِهَا أرْضًا قَرَاحًا بِأيْدِيْنَا ولاَ لِيْنَا
وَلمْ تَزَلْ هَذِهِ فِيْنَا عِنَايتُهَا حَتَّى تَسَاوَى ابْنُ سِتٍّ وابْنُ سِتِّيْنَا
هَذَا هُوَ الحَزْمُ والرَّأْيُ السَّدِيْدُ فَلاَ تَظُنُّهُ القَوْمُ زُهْدًا في مَغَانِيْنَا
لأنَّ مَنْ يَتَوَلَّى الأمْرَ بَعْدَهُمُ لَيْسُوا بِمَأمُونِ شَرٍّ في نَواحِيْنا(٢١)

يبدأ شاعرنا قصيدته بالشكوى من الدهر، وهي شكوى جماعية لا فردية، حيث يبكي هموم بلاده، وما آلت إليه من ضعف وخضوع للأعداء بسبب السياسة، التي يسير عليها الأمراء العيونيون، ويسخر من هذه السياسة، ويفضح عجز تفكير الأمير أبي القاسم مسعود وانحراف منطق مستشاريه، فيدعي أن تنازلهم عن الممتلكات والبساتين لأهل البادية إيمانا منهم أن "كل ملك منتزع" وأن أية دولة مصيرها إلى الزوال والفناء، فإذا حان وقت زوال الدولة العيونية، لا يجد الأعداء غنائم، يستولون عليها، أو أموالا ينهبونها، هكذا يكسرون شوكة أعدائهم، ويحفظون نفوسهم وأعراضهم، فضلا عن أن المال ربما كان سببا في هلاك صاحبه وتعاسته، لذلك فمن الحزم التنازل عنه وإيثار الفقر.

هكذا يسخر من قبولهم بالحياة الذليلة في أكناف دولتهم، وعجزهم عن مواجهة أعدائهم، الذين تنازلوا لهم عن ثروات بلادهم وخيراتها، هذه السخرية تنم عن شدة وطأة هذا الحدث على نفس شاعرنا، فهو وطني مخلص وإنسان حر، يرفض الذل والمهانة والخضوع للأعداء، وهذا هو سبب سخطه واغترابه السياسي في ظل هذا النظام السياسي غير المسئول، فرفع الكلمة سلاحا في وجه هؤلاء الساسة، ليكشف زيف دعواهم وخبث قراراتهم، وأن تنازلهم عن أملاك الدولة، يفقد حكمهم الشرعية.

ويصرخ في قومه أن ينفضوا عن أكتافهم عباءة الذل والخضوع، وأن يهبوا لمحاربة أعدائهم، يقول:

ألا يَا لَقَوْمِي مِنْ رَبِيعَةَ هلْ أرَى لكُمْ يَوْمَ بَأْسٍ يَصْدِمُ الجَهْلَ بالجَهْلِ
إلَامَ تُقَاسُونَ الهَوَانَ أذِلَّةً وأنْتُمْ إذا كُوثِرْتُمُ عَدَدُ النَّمْلِ
يَسُوقُكُمُ كَرْهًا إلى مَا يَسُوءُكُمْ عبِيدُكُمُ سَوْقَ الأُحَيْمِرَةِ الهُزْلِ(٢٢)

يقول مظهرا عمق اغترابه السياسي:

وإنْ دَوْلةُ وَلَّتْ قَفَاهَا فَوَلِّهَا قَفَاكَ فأعْيَا كُلِّ شيْءٍ رُجوعُهَا
ولا تتْعَبَنْ في نُصْحِ مَنْ غابَ رُشْدُهُ وَهَوِّنْ فَخَفَّاضُ المَبانِي رَفُوعُها
لعَلَّ ذُرًى تَهْوِي فَتَعْلُوا أسافِلٌ لِذَاكَ فَرَفّاعُ البَرَايَا وَضُوعُها
وَبعْ بِالقِلَى دَارَ المهَانةِ وَالأذَى فمَا الرَّابِحُ المغْبُوطُ إلاّ بَيُوعُها(٢٣)

تظهر هذه الأبيات أزمة ابن المقرب السياسية، وحالة الاغتراب التي يشعر بها مع النظام السياسي القائم، فهو يحث نفسه على الانعزال عن المشاركة في العملية السياسية، ويعتمد على أسلوب الشرط ليبرز حالة اليأس والإحباط التي يشعر بها تجاه الواقع المؤلم، الذي تعيشه الدولة العيونية، فقد غرب مجدها، وولى عزها إلى غير رجعة.

ثم يوجه سهام النقد إلى السياسة، التي سار عليها الأمراء العيونيون، فهم يدارون الأعداء، ويحرمون أبناء وطنهم من خيرات بلدهم، فلا ينالون من بحرها إلا على الماء المالح والأصداف، ولا يحصلون من نخلها المثمر إلا على علائق التمر، في حين ينعم الأعداء بخيرات البلد، لذلك يعلن رفضه لتلك السياسة، التي تهدر موارد الدولة، وتوزعها على الأعداء، ويظهر عزمه على الرحيل والانفصال رفضا للظلم ومهادنة الأعداء. يقول:

أمَا سَهْمُنَا في بَحْرِهَا المِلْحُ مَاؤُهُ وفي نَخْلِها العُمِّ الصَّوَارِي جُذُوعُها

وليْسَ لنا في الدُّرِّ إلاّ مَحَارُهُ ولا في عُذُقِ النَّخْلِ إلاّ قُمُوعُها
فبُعْدًا لِدَارٍ خَيْرُهَا لِعَدُوِّها وَقَوْمٍ بِأسْوَا كُلِّ حَظٍّ قَنُوعُها
فَعَزْمًا فقدْ طالَتْ مُداراتُنا العِدَى وطالَ بسُوءِ العَيْشِ فِينا وُلُوعُها(٢٤)

ويفصح عن آلامه وأحزانه من تردي الأوضاع السياسية لدولته من خلال معجم شعري، أسهم في بناء جو عام يتشح بالحزن والبكاء، فيقول:

مَنْ نَصِيرِي مِنْ زَمَانٍ فَاسِدٍ جَعَلَ الأمْرَ إلى أهْلِ الفَسَادِ
كُلَّمَا قُلْتُ لهُ ذَا سَرَفٌ في التَّعدِّي قالَ لي هذَا اقْتِصَادِي
كنْتُ قبْلَ اليَوْم أبْكِي بشَجًى هَمَّ نفْسِي وَطَرِيفي وَتِلادِي
ثُمَّ قدْ أصْبَحْتُ أبْكِي بِأسىً شَجْوَ إخْوَاني وَرَهْطِي وَبِلادِي
زَوْبَعَتْ في جَوِّهَا عَاصِفَةٌ ذاتُ إعْصَارٍ تُضَاهِي رِيحَ عَادِ
مَا نَجَا مِنْ نَارِهَا غَيْرُ امْرِئٍ عاذَ مِنْها بِمُضِلٍّ غَيْرِ هَادِ(٢٥)

يستنكر شاعرنا الوضع السياسي السائد في بلاده، ومن هيمنة أهل الفساد على زمام الأمور، الأمر الذي أنساه آلامه الذاتية، وشغله عما جرى له من مصائب في حياته الخاصة على يد الزمن، فأصبح يبكي هموم وطنه، وما حل فيه من خطوب وفتن، كأنما قد هاجت فيه ريح مدمرة، تشبه ريح أهل عاد، إلا أنها أهلكت المصلحين والمخلصين، وتركت الظالمين الفاسدين، هكذا يمزج بين همومه الفردية والهموم الجماعية لوطنه، ثم يشكو من سوء وضعه السياسي واختلال الإدارة السياسية للبلاد، فيقول:

يَا لَقَوْمِي مَنْ أرَاكُمْ حَسَنًا بَيْعَنَا بالبَخْسِ في سُوقِ الكَسَادِ
أَعَمًى غالكُمُ أمْ ناصِحٌ مُضْمِرٌ البَغْضَاءِ مُبْدٍ لِلوِدَادِ
عَجَبًا مِنْكُمْ ومِن تصْدِيقِكُمْ مَنْ يُمَنِّكُمْ بِنارٍ مِنْ رَمَادِ
واللَّبِيبُ الحُرُّ لا يَخْدَعُهُ لمِعَانُ الآلِ عَن حِفْظِ المَزَادِ
فهَبُوا نَاصِحَكُمْ رامَ الوَفَا هَلْ يُلاقِي اللَّيْثَ سَرْحٌ مِن نِقَادِ(٢٦)

يلجأ شاعرنا إلى أسلوب الاستفهام ليبرز حالة التعجب والإنكار، التي يشعر بها جراء السياسة، التي يسير عليها الأمراء العيونيون في تعاملهم معه، فهم يؤخرونه، ويتنكرون له، ولا يستمعون إلى نصحه لهم، على الرغم من أنه أحد أفراد الأسرة العيونية، ويقدمون عليه من يظهر

لهم الود، ويبطن لهم العداوة، ظنا منهم أن هؤلاء ناصحون مخلصون، وهم في الحقيقة أعداء تافهون، لا يغنون عنهم شيئا، لذلك يحثهم على أن يتدبروا عواقب الأمور، وألا ينخدعوا بظواهر الأشياء.

وربما كان من أهم الأسباب التي دفعت أبناء عمه إلى الانصراف عنه وتأخيره، أن ابن المقرب ربما كان يسعى إلى أن يصبح أميرا للبلاد، ولكن الحظ رمى به بعيدا، فتخطته الإمارة، هكذا كان يعتقد، أو حسب أبناء عمه أنه يعتقد، فأوجسوا منه خيفة المطالبة بشيء من الحق في الإمارة، وزاد الأمر تعقيدا أن أفسح هؤلاء صدورهم لخصوم ابن المقرب، وسلموا آذانهم لأقوال الوشاة.[٢٧]

هذه العلاقة السيئة التي تربطه بأبناء عمه أمراء البحرين، وشعورهم نحوه بالجفاء والريبة، فلم يراعوا صلة الرحم، التي تربطهم به، ولم يلتفتوا إلى القدرات، التي يمتلكها، ولكنهم تجاهلوه، وأبعدوه، وعقوه، واضطهدوه، كل ذلك دفعه دفعا إلى الشعور بالاغتراب السياسي، وترك في نفسه جرحا عميقا، أخذ يتنامى ويتزايد حتى أقض مضجعه، وأحال حياته جحيما، فيطلق هذه الصرخة قائلا:

أيُصبْحُ حَظِّي فيكُمُ وَهْوَ ناقِصٌ وتَغْدُو حظُوظُ العُتْرِ أوْفَى وأكْمَلا
وتُكْرَمُ أقْوامٌ مُعَيْدٌ أبُوهُمُ ويُحْرَمُ مَنْ يُدْعَى عَلِيًّا وَعَبْدَلا
أما وأبِيكُمْ إنَّها لَبَلِيَّةٌ إذا جَالَ فِيها فِكْرُ مِثْلِي تَمْلملا
حِذَارًا عَلَى العَقْدِ الذي عَقَدتْ لنَا أوَائِلُنَا في العِزِّ أنْ يَتَحَوَّلا
وَخَوْفًا مِنَ الأمْرِ الذي شَعَبُ العَصَا ومَنْ خَذَلَ المَوْلى لهُ كانَ أخْذَلا[٢٨]

تترجم هذه الأبيات ما يشعر به ابن المقرب من مرارة ومهانة سببها عزوف أبناء عمه عنه، وعدم إقامتهم وزنا لروابط القربى، التي تربطه بهم، ويحذرهم من سوء عاقبة هذه السياسة، وأنها ستفضي إلى انحلال عقد الدولة وتمزيق شملها، مستشهدا بالحكمة القائلة "إن من خذل ابن عمه كان ابن عمه أشد خذلانا له" التي توحي بالعلاقة المضطربة بينه وبين أبناء عمه حكام البحرين، كما توحي أيضا بانفصاله عنهم وشعوره بالسلبية السياسية تجاههم.

وقد نجح معجمه الشعري في الكشف عن عمق معاناته وصدق شعوره، حيث يمثل الاستفهام الإنكاري في البيت الأول صرخة يطلقها الشاعر في وجه أبناء عمه، ليوحي أنه قد ضاق ذرعا بهم وبسياساتهم، وأسهم التضاد في تعميق الدلالة وإبراز مأساته ، التي زلزلت كيانه " حظي فيكم ناقص – حظوظ العتر أوفى وأكملا، تكرم أقوام معيد أبوهم – ويحرم من يدعى عليا

وعبدلا" هكذا يبوح التضاد بإدانته لأبناء عمه، ويكشف عن العلاقة المتأزمة بينه وبينهم " أما وأبيكم إنها لبلية...."

عانى ابن المقرب محنة سياسية مؤلمة مع أبناء عمه حكام البحرين، فمدائحه لبني عمه من آل الفضل بن عبد الله كانت تذكي نيران عداوة آل أبي المنصور علي وكراهيتهم للشاعر، وذلك لأنهم الفرع المنافس لهم في الحكم، ومن ثم ناصبوا شاعرنا العداء، وصادروا أمواله، واستولوا على ممتلكاته، وأودعوه غياهب السجن، وبعد حين أطلقوا سراحه، ولكنهم لم يعيدوا إليه أمواله وأملاكه، ومع ذلك عندما تولى آل الفضل مقاليد الأمور، لم يعيدوا إليه أمواله وأملاكه المصادرة من قبل، ولم يوفوه حقه من التكريم، فقد وشي به إليهم، فتدهورت علاقته بهم.[٢٩]

لقد تركت هذه المحنة السياسية لشاعرنا وعلاقته السيئة بأبناء عمه أثرا سيئا على نفسيته، فتفاقمت غربته السياسية، وشعر بالإحباط والتهميش السياسي وهوان منزلته لدى أمراء الأسرة العيونية خاصة آل الفضل، على الرغم من أنه عاش وفيا لهم حافظا لعهدهم، فيطلق هذه الصرخة، التي تعبر عن إحساس عميق بالاغتراب، لعلها تهز مشاعرهم، وتوقظهم من غفلتهم، يقول:

يا آلَ فَضْلٍ دَعْوَةً مِن مُخْلِصٍ لَكُمُ المَوَدَّةَ ليْسَ بالمتَمَحِّلِ

لِمَ يَرْتَعِي القَوْمُ الحَمِيْمَ ومَا لنَا غَيْرُ الأَلاءَةِ مَرْتَعًا والحَنْظلِ

وَكَمِ الشَّقائِقُ والتِّلاعُ لغَيْرِنَا وَلنَا الخَطائِطُ قَسْمُ مَنْ لَمْ يَعْدِلِ

وَالبَارِدُ العَذْبُ الزُّلالُ لِغَيْرِنَا وتُخَصُّ بالمِلْحِ الأُجَاجِ الأشْكَلِ

أرْحَامُنَا مُذْ يَوْمِ غُيِّبَ جَدُّكُمْ في رَمْسِهِ مَقْطُوْعَةٌ لَمْ تُوصَلِ

حَتَّى كأنَّا مِنْ جُهَيْنَةَ أصْلُنَا لا وُلْدَ عَبْدِ اللهِ نَحْنُ ولا عَلِي[٣٠]

تعبر هذه الأبيات عن صدمة شاعرنا ومعاناته النفسية جراء إهمال آل الفضل لحقوقه، وعدم شعورهم بالمسئولية تجاهه، على الرغم من إخلاصه الشديد لهم، وأواصر القربى التي تجمعه بهم، ويوظف الثنائيات الضدية، ليظهر تخاذلهم في التعامل معه، ويجعلها أكثر وضوحا ورسوخا، فيوازن بين تعاملهم معه ومع الآخرين، ليصل إلى نتيجة مؤداها أنه يشعر باغتراب شديد، وكأنه ينتمي إلى قبيلة أخرى غير قبيلتهم، وبذلك يسقط شاعرنا الرابطة القبيلة والنزعة العصبية، وهي أهم رابطة تقوم عليها الدولة العيونية، وكأنه يوحي من طرف خفي إلى رفضه للدولة وسياستها،

وتنصله من الالتزام بطاعة الحاكم، وبذلك يكشف لنا عن سبب مهم أسهم في ترسيخ شعوره بالاغتراب السياسي، ألا وهو شعوره بالحرمان والإبعاد وتعسف الحكام في التعامل معه.

قدم شاعرنا في الأبيات السابقة صورا لحالتين متناقضتين، فيقابل في البيت الشعري الواحد بين طريقة تعامل آل الفضل معه ومع الآخرين، ليبرز الصراع النفسي الذي يعانيه نتيجة التناقض بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، وهذا التناقض هو الذي أضرم في نفسه مشاعر الاغتراب، وهو سر معاناته وتعاسته.

ويلح شاعرنا على الثنائيات الضدية، التي تحمل في طياتها اغترابا سياسيا وسخطا على سياسة آل الفضل، حيث تبرز حالة الاغتراب ، التي تحيط به، وافتقاده مشاعر الأمن والاستقرار، فهو يعاني الفقر والحرمان، ويلاقي الاضطهاد والاستبعاد، في حين ينعم الآخرون برغد العيش وسعة الحال، يقول:

يَا آلَ فَضْلٍ أماتَ اللهُ حاسِدَكُمْ بِغَيْظِهِ وَكَفَاكُمْ زَلَّةَ القَدَمِ
كَمْ يَمْضُغُ الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ لحْمِي ويَشْرَبُ شُرْبَ الهِيْمِ فَضْلَ دَمِي
أفِي المُرُوءَةِ أنْ أظْمَا وَحَوْضُكُمُ لِلكَلْبِ وَالذِّئْبِ والجِرْذَانِ والبُهُمِ
ويُصْطَفَى مَنْ أبُوهُ كانَ عَبْدَ أبِي دُوْنِي ويُقْطَعُ فِيْمَا بَيْنَكُمْ رَحِمِي(٣١)

استخدم شاعرنا في الأبيات السابقة أسلوب النداء للبعيد ، ليوحي ببعد آل الفضل عنه، وهذا هو مبعث مشاعر الحزن والألم ، التي يحملها بين جنباته، وتعكس الصورة في البيت الثاني سيطرة مشاعر الانكسار والعجز على نفسه، فقد تركه آل الفضل في مهب مصائب الزمان، الذي يشخصه ، ويجعله يأكل لحمه ، ويشرب دمه ، فهذه الصورة تشي بعمق اغترابه وقلة حيلته، ويحمل الاستفهام في البيت الثالث عتابا شديد اللهجة لآل الفضل ، الذين تجاهلوه ، وأغلقوا أبوابهم أمامه.

ويرى الباحث أن الاغتراب السياسي هو المنبع الأول أو المصدر المباشر الذي أثار في نفس شاعرنا مشاعر الاغتراب، فمعاناة الشاعر الاغترابية تبدأ من فشله في الحصول على مكانة متميزة عند أبناء عمه الأمراء العيونيين، الذين لم يراعوا انتمائه إلى الأسرة الحاكمة، ولم يحسنوا معاملته، على الرغم مما يتمتع به من صفات جليلة، تؤهله لنيل أسمى المناصب، كما أنه أصيب بخيبة أمل كبيرة، فلم يجد ما كان يأمله من كرم وحسن معاملة من قبل آل الفضل، نتيجة حبه لهم ووقوفه في صفهم، فلم يجد منهم يدا حانية، تزيل عنه ظلم آل المنصور له، الذين سجنوه،

وصادروا أملاكه، فعانى الفقر والذل، وضاقت به سبل العيش الكريم في وطنه، فشعر بمرارة الاغتراب، وهو بين أهله وقومه، وأحس أن الزمن قد أطبق عليه الخناق، يذيقه صنوف العذاب والهوان، فاضطر إلى الرحيل عن وطنه والابتعاد عن قومه، الذين أنكروا فضله، وعلى الرغم من هذه الظروف القاسية التي أجبرته على ترك بلاده، إلا أن الحنين إلى وطنه كان يغلبه دائما، ويشده إليه، فيضطر إلى العودة إلى وطنه، لكنه سرعان ما يشعر بشبح الاغتراب، فيكره الإقامة فيه، ويرحل عنه مرة أخرى، فيشتد اغترابه، وتحاصره الهموم، وتزداد حسرته، ويعيش في عالم حزين مظلم.

ونحن بذلك نتفق مع د. نسيمة الغيث التي ذهبت إلى أن اغتراب ابن المقرب كان بدافع " المعارضة السياسية، فهو أقرب إلى النفي الاختياري، الذي فرضه على نفسه، حين عجز عن أن يدفع الإدارة السياسية – إن صح التعبير- في بلاده أن تنتهج الخط الذي بدأه مؤسس الدولة، وحافظ به على شخصيتها، لقد رأى الشاعر ضعفا وتخبطا وانقساما، ورأى أيضا إنكارا لرأيه وتجاهلا لدوره ومكانته، فكانت الهجرة الدائمة، منذ غادر سجنه، يرسل حلمه بالمستقبل، ويتشبث بصور الماضي المجيد، وينحو باللائمة – التي تصل إلى حد الزجر – على حكام بلده، ومن هنا نجد مدائحه لا تختلف كثيرا عن معاتباته، التي لا تذهب بعيدا عن شكواه، كلها موصولة بنفسه الحائرة المتألمة، بما ترى من بوار الحاضر وخطر القادم، تملك الرأي لدفعه، لكنها لا تملك الأداة، فلا يكون لها إلا أن تقول، فلا تجد من يستمع، وهذه هي غربة الشعراء والمفكرين"(٣٢)

٢- الاغتراب الاجتماعي

يتمثل في الانسلاخ عن المجتمع، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية، والانفصال عن قيم المجتمع ومعاييره، وشعور الفرد بالبرود الاجتماعي، أي ضعف الروابط بين ذاته وذوات الآخرين، وضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم، فيعيش منعزلا عن الآخرين مفتقدا للدفء العاطفي.(٣٣)

الإنسان كائن اجتماعي، ينتمي إلى جماعة معينة، تربطه بها علاقات تفاعل وانسجام، تجعله يشعر بوجود وشائج من الألفة بينه وبين أفرادها، ولكن قد يحدث أن يعاني من تقطع هذه الوشائج، بحيث يصبح عاجزا عن التفاعل والانسجام مع الآخرين، فيعيش منفصلا عن قيمهم وعاداتهم، يكره الارتباط بهم أو الانتساب إليهم، يشعر باغترابه بينهم، يود دائما الابتعاد عنهم.

وقد أشار أبو الفرج الأصفهاني في كتابه " أدب الغرباء" إلى مفهوم الاغتراب الاجتماعي دون أن يذكره صراحة في قوله "فَقْدُ الأحبة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقدُ الأحبة"(٣٤)

وقد أشار إلى ذلك أيضا أبو حيان التوحيدي في كتابه " الإشارات الإلهية"، يقول "هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهبِّ أنفاسه، وأغربُ الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه"(٣٥)

وابن المقرب كان من هؤلاء النفر، الذين شعروا بالاغتراب، وهم بين أهليهم، لذلك كان دائما في حالة ارتحال عن وطنه وابتعاد عن قومه، غير قادر على التكيف أو الانسجام معهم، وها هو يهاجم أفراد مجتمعه، ويصب عليهم جام غضبه، ويراهم قرناء أهل النار، ليوحي بسوء مصيرهم، فهم يستحقون العذاب الأليم، بل إنهم أكثر فسادا وسوءا من أصحاب النار، الذين يستحقون رثاء مالك خازن النار عند مقارنته بقوم شاعرنا، يقول:

كَمْ أُرْجِعُ الزَّفَرَاتِ في أحْشَائي وإلامَ في دَارِ الهَوَانِ ثَوَائي
لـمْ يَبْقَ مِنِّي مِن مُسَاوَرَةِ العِدَا والضَّيْمِ غيْرُ حُشاشَةٍ وَذَمَاءِ
في دَارِ قوْمٍ لو رآهُـمْ مَالِكٌ وهُـمُ بأحسنِ منْظرٍ وَرُوَاءِ
لرَثَى لأهلِ النَّارِ كيْفَ يَرَاهُمُ وهُـمُ لهُمْ فيها مِنَ القُرَنَاءِ(٣٦)

إن من أشد أنواع الاغتراب شعور المرء أنه منبوذ في مجتمعه، وأن كل من حوله يضمر له حقدًا دفينًا وكرهًا عميقًا، فتتضاعف غربته، وتزداد وحشته، وقد عانى شاعرنا من ألم هذا الشعور، فهناك من أبناء قومه من يتمنون هلاكه، فيقابلونه بوجه عبوس، وينظرون إليه شزرا، يقول:

عَجِبْتُ لِقوْمٍ أصْبَحُوا وعُيونُهُمْ تُخَازِرُ لي مِنْ تحْت تلكَ الحَواجِبِ
إذا ما بدَا شخْصِي لهم خِلْتَ عاصِفًا مِن الرِّيحِ قد ثَارتْ عليهم بحاصِبِ
يَسُرُّهُمُ أنَّي اخْتُرِمتُ وغالني حِمَامِي وقامَتْ بالمآلِي نَوَادِبِي (٣٧)

وقد قابل كره هؤلاء الناس له باحتقاره لهم وسخريته منهم، فهم كالجراد في الضعف والضآلة، وهو كالصقر، لا يزعجه صريرهم، فلا قيمة لشخوصهم ولا وزن لغضبهم، فهم كالخفاث، وهي حية ينتفخ وريدها عند الغضب، ولا تضر أحدا، وهم كالبوم والغربان في الشؤم

والقبح، وهم أنذال لئام، وهو حر كريم، لذلك فهو غير عابئ بهم، أو حزين على بغضهم له، فيخاطبهم من خلال هذه الصرخة، التي تنم عن غربته وعمق الفجوة التي تفصل بينهم، يقول:

عَلى رِسْلِكُمْ وامْشُوا رُوَيْدًا فَتِيهُكُمْ عَلى عَبْدَلِيٍّ مِن عَجيبِ العَجَائبِ
وَخَلّوا مُضِلاَّتِ الأَمَانيِّ عَنكُمُ مَتَى نَفَّرَ البَازِي صَرِيرُ الجَنَادِب
ولا تَحْسَبُوا ذا التِّيهَ فيكُمْ فَضِيلةً فَما هُوَ إلاَّ صَرُّ عَينٍ وَحَاجبِ
فَرُصُّوا وَصُرُّوا أعْيُنًا أو فَبَلّقُوا فَمَا نفْخُ حُفَّاثٍ لِصلٍّ بكارِبِ
ومَنْ أنتُمُ حتّى أُسَاءَ بِذكرِكُمْ وَإعْراضِكُمْ يا شَرَّ مَاشٍ وَراكِبِ
إذا عُدَّتِ الأنْذالُ يومًا بمجْلسٍ عُدِدْتُمْ وَمَا نَذْلٌ لِحُرٍّ بِصَاحبِ
فلوْ كُنتُمُ طيْرًا لكنتُمْ مِنَ الصَّدَى صَدَى البُومِ أوْ غِرْبَانهنَّ النَّواعِبِ[٣٨]

ويعلن نفوره وانسلاخه عن قومه، فهو يراهم أشد شرا وعداوة من الذئاب، لذلك فهو يتمنى أن يهرب بعيدا عنهم، يؤثر مجاورة الذئاب الضارية عن مجاورتهم، فالذئاب أكثر إنسانية منهم، هكذا وجد في الذئاب ما لم يجده في أفراد مجتمعه "وكأنه يقول: إنها على الرغم من شراستها أرحم من البشر، وإن هذا العالم رحب، يجد الحر فيه مأوى وصحبة، إذا ضاقت به نفوس البشر"[٣٩] الأمر الذي يشي بانفصاله التام عن مجتمعه، وانقطاع أواصر التراحم وانعدام الشعور بالأمان بينه وبين أفراد مجتمعه.

ويشتكي من قطيعة أبناء عمه لرحمه، وتجاهل حقوقه عليهم، ومقابلتهم إحسانه إليهم بالجحود والنكران، يقول:

وَأعْجَبُ ما لاقيْتُ أنَّ بَني أبي حُسَامٌ لِمَنْ يَبْغِي جِلادِي وَسَاعِدُ
عَزِيزُهُمُ إنْ عُذْتُ يَوْمًا بِظِلِّهِ رَأيْتُ سَمُومًا وهْوَ لِلْخَصْمِ بَارِدُ
وسائرُهُمْ إمَّا ضَعِيفٌ فضَعْفُهُ لهُ عَاذِرٌ أوْ مُبْغِضٌ لي مُجَاهِدُ
هُمُ ألحَمُوني النَّائِبَاتِ وأُولِعَتْ بِلحْمِي أُسُودٌ مِنْهُمُ وأسَاوِدُ
وَهُمْ تَرَكُوا عَمْدًا جَنَابي ومَرْتَعِي مِنَ الجَدْبِ لا يَرْجُو بِه الخِصْبَ رَائِدُ
وَهُمْ أشْمَتُوا بي حَاسِدِيَّ وَذلِكُمْ مِنَ الأمْرِ مَالا تَرْتَضِيهِ الأمَاجِد[٤٠]

تعكس هذه الأبيات آلام الشاعر النفسية، وتكشف سببا مهما لاغترابه الاجتماعي، وهو موقف أبناء عمه تجاهه، فقد اشتعلت في قلوبهم نيران العداوة والكراهية له، بدلا من أن

تسكنها أواصر المودة والرحمة، وتعددت صور ظلمهم له، فلم يكتفوا بقطيعته ونكران فضله، بل سعوا إلى إيقاع الأذى به ومناصرة أعدائه، فظلم ذوي القربي أشد وطأة على النفس من وقع الحسام المهند.

عمد شاعرنا في الأبيات السابقة إلى تكرار الضمير "هم" منوعا في تكراره، فيأتي في أول الأبيات متصلا، ويأتي في آخرها منفصلا، الأمر الذي يشي بموقف شاعرنا من قومه، فقد كان ملتصقا بهم في بداية حياته ، وانتهى بانفصاله عنهم، هكذا يفصح التكرار عن حالته الشعورية، ويكرس إحساسه بالاغتراب، فالتكرار – كما تقول نازك الملائكة- هو "أحد الأضواء اللاشعورية، التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر ، فيضيئها بحيث نطلع عليها"(٤١)

ويلح على ظلم بني عمه له، ووقع ذلك على نفسه، فيقول:

بلى إنَّ ضَيْمَ الأقْرَبِيْنَ وجَدْتُهُ أشدَّ عَلَى الأحْشاءِ حَرًّا ولاهِبَا

ألاَ إنَّهُ الدَّاءُ العَيَاءُ وإنَّهُ الشّـ ـجَا في التَّرَاقِي والمزِيلُ المراتِبَا(٤٢)

لجأ شاعرنا في هذين البيتين إلى الإكثار من الألفاظ المشحونة بالكآبة والضيق "ضيم الأقربين ، حرا ولاهبا ، الداء العياء..." ليظهر عمق معاناته، وما يكابده من أسى وحزن، الأمر الذي يشير إلى تصدع العلاقات بينه وبين أبناء عمه، ويأتي "ألف الإطلاق في أواخر الأبيات ليدل على امتداد حزنه ، ولانهائية حرقة فؤاده"(٤٣)

ويصور لنا مدى العذاب النفسي الذي يعانيه بسبب خذلان بعض أقاربه له، فهو يتجرع ألم الذل ومرارة القهر، فلم يجد منهم إلا إساءة وإيذاء، ويبرز ما انطوت عليه نفوسهم من لؤم وخسة من خلال ثنائيات ضدية ساخرة، تكشف مثالبهم السلوكية، فهم جبناء في الحرب، سريعو الفرار من ساحات القتال، تتملكهم نشوة الكبر والخيلاء، وهم بين البغايا والنساء، يبدون اللين واللطف مع الأعداء، ويظهرون الصرامة والبطش مع أهل قرابتهم، هكذا يفسر سر اغترابه بينهم ونقمته عليهم، ويلجأ إلى تكرار "كم" الخبرية ليسلط الضوء على عمق معاناته واغترابه بينهم، يقول:

فكَمْ أتَحَسَّى الضَّيْمَ مُرًّا وأمْتَرِي عَقَابيلَ خِلْفٍ قدْ أَزِى وتجَدَّدَا

وَكَمْ يَعْتَرِينِي بالأذَى كلُّ مُقْرِفٍ إذا سُئِلَ الحُسْنَى أغَدَّ وعَرْبَدَا

فَئِيدٍ كَعِلَّوْصِ الأَباءِ لدَى الوَغَى وإمَّا مَشَى بَيْنَ البَغَايَا تفَيَّدا

تَرَاهُ عَلى أعْدائِهِ مَاء مُزْنَةٍ وفي رَهْطِه الأدْنَى حُسَامًا مُجَرَّدَا(٤٤)

الصداقة إحدى العلاقات الاجتماعية المهمة، التي تدفع الإنسان إلى الاندماج في المجتمع، وربما يدفعه الفشل في هذه العلاقة إلى الابتعاد عن الناس، وتفضيل العزلة والشعور بالاغتراب، وقد ابتلي ابن المقرب بأصدقاء لئام، يبدون له مشاعر ود كاذبة، ويضمرون له الضغينة والكره، يدعون صداقته، ويطعنونه في ظهره، فهم أعداء في ثياب أصدقاء، يجيدون التلون والنفاق "وقد انخدع بهم في البداية، ولكن بعد فترة من الزمن انكشفوا له على حقيقتهم، وتبين زيف حالهم، فهم ضعاف القلوب، صغار النفوس، لا يراعون للود حقا، ولا للصداقة وفاء"[٤٥] لذلك فهو يعلن ضجره منهم وسخطه عليهم، مفضلا صداقة الحيوان على صداقتهم، يقول:

أَقُولُ وَقَدْ فكّرْتُ في أمْرِ خُلَّتِي وأمْرِي وَحَالِ الأرْذَلِينَ وحَالِي
ألاَ ليْتَنِي قَدْ كُنْتُ خِدْنًا مُخَادِنًا لِخَيْطِ نَعامٍ في الفَلاَ وَرِئَالِ
ولَمْ أكُ عَارَفْتُ اللِّئَامَ وَلَمْ أَنُطْ حِبَالَ خَسِيسٍ مِنْهُمُ بِحِبَالِي
فَلَمْ أَرَ مِنْهُمْ غَيْرَ خِبٍ يَمُدُّ لِي لِسَانَ مُحِبٍّ مِنْ طَوِيَّةٍ قَالِ
لهُ شِيْمَةُ السِّنَّوْرِ في لُطْفِ خَدْعِهِ وَلكِنَّهُ في اللمْسِ حَيَّةُ ضَالِ
إذا جِئْتُ فَدَّانِي وَأبْدَى بَشاشَةً وَلاَحَظَنِي مِنْهُ بِعيْنِ جَلالِ
وإنْ غِبْتُ أدْنَى سَاعةٍ عَنْ لحَاظِهِ تَمَحَّلَ في عَيْبِي بِكلِّ مِحَالِ(٤٦)

وتتفاقم مشاعر الاغتراب عند شاعرنا، حيث يعاني من تمزق الروابط الإنسانية بينه وبين أقاربه وأصدقائه، فهو يشعر أن كل دار من ديار قومه تناصبه العداء، وأن كل من فيها يضمر له البغضاء والكراهية، كأن بينه وبينهم ثأرا، الأمر الذي ترك آثارا وخيمة على نفسيته، فيرفع صوته معلنا ضيقه ونفاد صبره على تحمل أذاهم وتنكرهم له، على الرغم من أنه يبذل لهم المودة، ويحسن الظن بهم، يقول:

أَفِي كُلِّ دَارٍ لي عَدُوٌّ أُصَاوِلُهْ وخَصْمٌ عَلَى طُولِ اللَّيالي أُزَاوِلُهْ
وطَاوٍ عَلَى بَغْضَايَ يَصْرُفُ نَابَهُ عَليَّ وبالشَّحْنَاءِ تغْلِي مَرَاجِلُهُ
كأنَّ أبَاهُ كان قَاتِلَهُ أبي وهَا أنَا إنْ أَوْفَى بِيَ الْعُمْرُ قاتِلُهْ
سَئِمْتُ مُدَارَاةَ اللئامِ وَعَزَّنِي صَدِيْقٌ أُصافِيهِ وخِلٌّ أُواصِلُهْ
وَضِقْتُ ذِرَاعًا بابْنِ عَمٍّ مُحَبَّبٍ إليَّ وإنْ لمْ تَسْقِ أرْضِي مَخَايلهْ(٤٧)

يحمل الاستفهام في البيت الأول دلالة التعجب والانكار، ومنبع التعجب دخول أداة الاستفهام على الجار والمجرور، الذي يفيد العموم والشمول، فليس التعجب من وجود أعداء لشاعرنا، فهذا شيء بدهي، فلكل إنسان أعداء، ولكن مناط التعجب من وجودهم في كل دار، وكأن هناك حبلا سريا، يربط بين كل ديار قومه ألا وهو مشاعر الكره والبغض لشاعرنا، الأمر الذي يعكس حدة مشاعر الاغتراب، التي يعانيها شاعرنا.

ويشكو اغترابه الحاد في قومه، ويبرز عمق معاناته ومأساته من خلال الاعتماد على التشبيه والاستعارة، فالصديق كالعدو ، لا فرق بينهما، والأيام تمضغ لحمه، يقول:

طَالَ لَبْثِي بيْنَ مَوْلًى خاذِلٍ وَمُعادٍ وصَدِيقٍ كالمُعادِي
تَمْضُغُ الأيَّامُ لحْمِي عَبَثًا ليْسَ بَعْدَ المِضْغِ غَيْرُ الازْدِراد(٤٨)

ويرفع صوته منددا بصورة مثيرة للسخرية بالقيم المعكوسة لمجتمعه، الأمر الذي يولد في نفسه الشعور بالاغتراب، ويكشف عن اتساع الهوة بينه وبين أفراد مجتمعه، وعدم مقدرته على الانسجام معهم، ويبرز ما يتصفون به من لؤم الطباع وسوء الأخلاق وانحراف السلوك وذلك من خلال الاعتماد على ثنائيات ضدية ساخرة، فحياتهم نعمة لأعدائهم ونقمة لأصدقائهم، وأموالهم غنيمة للأعداء، بعيدة عن وجوه الخير والإحسان، وهم عديمو الإحساس والإرادة، لا يشعرون بهوان أو خزي، عمي عن الإحسان، صم عن الخير، انتهازيون محتالون، يسعون وراء المال بكل الطرق الخبيثة، فالشر والخبث متأصلان في نفوسهم، هكذا يكشف انقلاب المعايير واختلال الموازين في مجتمعه، وينزع عنه أية فضيلة أخلاقية، يقول:

ثَكِلتْهُمُ الأعْداءُ إنَّ حَيَاتَهُمْ غَمُّ الصَّدِيقِ وفَرْحَةُ الأعْداءِ
أَمْوَالُهُمْ لِذَوِي العَدَاوَةِ نُهْبَةٌ وَعَنِ المكارِمِ في يَدِ الجَوْزَاءِ
لا يُعْرَفُ المعْروفُ في ساحَاتِهِمْ إلا كَمَا يُحْكَى عن العَنْقَاءِ
جَلَدُ الجِمالِ عَلَى الهَوانِ وَفيهِمُ ضَعْفُ الدَّبَا وَتلوُّنُ الحِرْبَاءِ
عُمْيُ عَنِ الإحْسانِ إلا أنَّهُمْ أهْدَى إلى لُؤْمٍ مِن الزَّرْقَاءِ
صُمٌّ عَنِ الحُسْنَى وَلكِنْ طَالَمَا سَمِعُوا كَلامَ الحُكْلِ في العَوْرَاءِ
جَعَلُوا المِحَالَ إلى المِحالَ ذَرائِعًا يُغْني عن البَيْضَاءِ والصَّفْرَاءِ(٤٩)

ويعبر عن سخطه وغضبه من اختلال منظومة القيم في مجتمعه، يقول:

ومِنَ الشَّقاءِ إقامَتِي في بَلْدَةٍ لِلهِ جَدُّ عَدُوِّهَا ما أَسْعَدَا

لوْ حَلَّها كِسْرَى لقالَ لِمَا يرَى نَفْسِي لِمَنْ يَبْغِي الخَرَابَ لهَا الْفِدَا
ما بَيْنَ قوْمٍ لا يُصانُ لجَارِهِمْ عِرْضٌ ولا يُرْجَى لِغَيِّهِمُ هُدَى
سَوْدَاءُ مُومِسَةُ أَجَلُّ لَدَيْهِمُ مِنْ عَالِمٍ حَبْرٍ وأَدْنَى مَقْعَدَا
وبِمُصْلِحٍ لا بَلْ بِألفَي مُصْلِحٍ لا يَعْدِلونَ خبِيثَ أصْلٍ مُفْسِدَا
لوْ قِيلَ كُنْ هُودًا لأَشْرَفِ رُتْبَةٍ مِنْهُمْ ودُونَكَ دِرْهمًا لَتَهَوَّدَا(٥٠)

منبع شقاء شاعرنا وسر تعاسته واغترابه إقامته في بلدة، أصيب أهلها بعمى البصيرة وانقلاب موازين الأخلاق لديهم رأسا على عقب، تغلغل الفساد في نفوسهم، وسيطر على عقولهم، فلا يرجى منهم نفع أو هداية، فعدوهم محظوظ بهم، سعيد بجهلهم وانهماكهم في الشرور والموبقات، وجارهم لا يأمن بوائقهم، فلا يحفظون له عِرضا، ولا يعرفون له حقا، وقد بلغ أهل هذه البلدة من سوء الطباع وانحراف الأخلاق أن كسرى لو حل بها، لتمنى لها الخراب والزوال، فمجتمعه في حالة انفصال تام عن القيم الأخلاقية، تستعبده الشهوات، وتقوده الغرائز، يسعى وراء المال بكل طرق المكر والاحتيال، وفي هذا الجو الفاسد المنحرف يتوارى العلماء والمصلحون، ويتقدم الجهلاء الفاسدون، ويعلو صوتهم، وهذا ما جعله يحس بالانفصال عن مجتمعه، ويميل إلى العزلة والانزواء، ويشعر بالاغتراب.

ويتحسر شاعرنا على ضياع عمره مخدوعا بهؤلاء الناس أصحاب النفوس الخبيثة، فهم يشبهون شياطين الجن في الأفعال والطباع، إلا أننا نراهم، ونسمعهم، قلوبهم غلف عن المروءة والفضائل، مملؤة بالغل والكراهية لشاعرنا، ومن شدة خطرهم وأذاهم يتمنى جارهم هلاكهم، يقول:

وَاحَسْرَتَا لِتَقَضِّي العُمْرِ في نَفَرٍ هُمُ الشَّياطِينُ لوْلا النُّطْقُ والصُّوَرُ
لا يَرْفَعُونَ إذا عَزُّوا بِمَكْرُمَةٍ رأسًا ولا يُحْسِنُونَ العفْوَ إنْ قَدِرُوا
يَوَدُّ جَارُهُمُ الأَدْنَى بأَنَّهُمُ أَضْحَوْا ومَا مِنْهُمُ عيْنٌ ولا أَثَرُ
خُزْرُ العُيُونِ إذا أَبْصَارُهُمْ نظَرَتْ شَخْصِي فلا زَالَ عنْها ذلِكَ الْخَزَرُ
لهُمْ سِهامٌ بظَهْرِ الغَيْبِ نَافِذَةٌ لمْ تُكْس رِيشًا ولمْ يَنْبِضْ لَها وَتَرُ(٥١)

يطلق شاعرنا هذه الصرخة "واحسرتا" التي تنفجر كبركان ثائر، ليوحي بعمق الألم، الذي يعتصر قلبه، ويعتمد على تكرار حرفي النفي "لا – لم" ليؤكد ما تنطوي عليه نفوس أهل مجتمعه من سوء طباع وفساد أخلاق، ويوظف الأسلوب الخبري في الأبيات، ليرسخ هذه المعاني.

ويصرح مرة أخرى بشدة ندمه وخيبة أمله لضياع عمره بين أقوام كالأصنام لا يتألمون، ولا يفهمون، استشرى فيهم الفساد والضلال، وعم فيهم الفجور والإفك، لا يستطيع نبي الله نوح أو قيس بن عاصم – الذي يضرب به المثل في الحلم – أن يعيشا بينهم لخبث طويتهم وسوء أخلاقهم، يقول:

يا ضَيْعَةَ العُمْرِ في قوْمٍ تَخَالُهُمُ نَاسًا ولا غَيْرَ أثْوابٍ عَلى صُوَرِ
لوْ أنَّ ذَا الحِلْمِ قَيْسًا حَلَّ بَيْنَهُمُ يَوْمًا لَوَدَّ ذَهَابَ السَّمْعِ والبَصَرِ
ولوْ يُعَمَّرُ نُوْحٌ فيهِمُ سنَةً لقالَ يَا رَبِّ هذا غايةُ العُمُرِ(٥٢)

هكذا عاش ابن المقرب يعاني ألم الاغتراب الاجتماعي بين قومه وعشيرته، مفتقدا الدفء الاجتماعي بين الأهل والأصدقاء، عاجزا عن إقامة جسور من الود والتفاهم معهم، فهو يعيش بينهم، لكنه منفصل عنهم، يشعر بضياع القيم النبيلة وتصدع العلاقات الإنسانية.

٣– الاغتراب الزماني

الزمن قوة فاعلة ومؤثرة في الإنسان، لذلك " يمثل محورا أساسيا في تشكيل ظاهرة الاغتراب، وذلك من خلال فقدان الانسجام الذاتي مع الزمن أو العصر الذي يحيا فيه الإنسان"[٥٣] فيشعر أنه مغترب ضائع في زمن أفقده مكانته، ويغلق في وجهه أبواب الأمل، ويلفه من كل جانب بالأهوال والشرور، زمان يسود فيه الجهل والظلم، ويعلو فيه اللئام والأوغاد، ويخلو من كل خير ونعيم، فيشعر بالعجز والضياع، ويشتهي الانسلاخ منه، والهروب بخياله إلى زمان آخر، يستطيع فيه تحقيق طموحاته والاندماج مع أهله.

ويمثل التذكر والاستشراف والحُلم أهم المنافذ التي يلوذ بها المرء، ليصنع له زمنا ذاتيا، ينشد فيه ضالته، ويخلق عالمه الذاتي المنفصل عن حاضره[٥٤] فالإنسان الرومانسي يحاول ألا يعيش في زمانه، فيتجاوزه إلى مستقبل مشرق أو بائس، أو إلى ماض تاريخي ينشد فيه ضالته، وقد يدفعه هروبه من الواقع إلى أن يلوذ بالحلم، ويغرق نفسه بضروب من أوهام العقل أو أوهام القلب.[٥٥] ويصدق هذا القول على الشعراء المغتربين "ففي كل شاعر مغترب نفسُ رومانسي[٥٦]

والاغتراب الزماني هو في الحقيقة اغتراب عن أهل هذا الزمان، فالشعراء المغتربون لا يتعاملون مع الزمن من خلال بعده المادي أو الخارجي، وإنما يتعاملون معه من خلال بعده الداخلي أو النفسي، الذي يخضع لرؤية الشاعر.

يرى د. عبد الإله الصائغ أن الزمان مقترن بأهله وبوعي الشاعر له، فالناس يمثلون الزمان، فإن ذم الشاعر الزمان، فقد ينصرف ذمه إلى الناس، وإذا حمد الزمان، فإنما حمده يعني حمدا للناس، فالزمان ظرف، والناس مادته، فإن طابت الناس، طاب هذا الظرف، وإن فسدت، فسد.(٥٧)

فالشعراء المغتربون ينظرون إلى الزمن على أنه الحائل دون تحقيق أمنياتهم، ويحملونه أغلب مآسيهم ومعاناتهم النفسية " المتولدة بفعل الانتكاسات التي لا توافق الطموح، وكأنه هو الذي يصرف الأمور، والمسئول عن تلك التقلبات، التي رافقت طباع الناس وسلوكهم، بما لا يتلاءم وأهواء الشاعر وميوله وآماله، وتبعا لذلك راح بعض الشعراء، يفرغون سخطهم عليه، ويشكون من صروفه من خلال نتاجهم، الذي يحمل بين طياته ألم النفس ومرارة الواقع، والتي تولدت بفعل عدم انسجام النفس مع الزمان بأحواله المختلفة"(٥٨)

ويفتتح ابن المقرب إحدى قصائده بالشكوى المريرة من استهداف الزمان له بسلسلة لا تنتهي من النوائب والهموم، فيقول:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْخُطُوبِ أُصابِلِي ألاَ مَا لأَحْدَاثِ الزَّمَانِ ومالِي
يُفَجَّعْنَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِي بِأَنْفَسِ مَالِ أوْ بأَشْرَفِ آلِ
أَرَى الشَّرَّ قُدَّامًا وخَلْفًا وأَتَّقِي نِبَالَ الأَذَى عَنْ يَمْنَةٍ وشِمَالِ
إذا قُلتُ جَلَّى بَعْضُ هَمِّي أبَتْ لهُ نَوائِبُ أَمْضَى مِن حُدُودِ نِصَالِ
كأَنَّ الرَّزَايَا والمَنَايَا تَحالفَا عَلى عَكْسِ آمَالِي وبَتِّ مَآلِي
لَحَا اللهُ هذَا الدَّهْرَ كَمْ يَسْتَفِزُّنِي لِخَوْضِ بِحَارٍ أوْ لِشَقِّ جِبَالِ
يُكَلِّفُنِي جَرْيَ الجَوَادِ وقدْ لَوَى شِكَالاً عَلى سَاقَيَّ خَلْفِ شِكَالِ
وقَدْ مَصَّ مُخَّ العَظْمِ حَتَّى إزارَهُ وبَدَّلَهُ مِن نِيِّهِ بِهُزَالِ
وهَلْ يَقْطَعُ الشِّكْلَ الجَوادُ عَلى الوَنَى ولوْ جَالَ في الآرِيِّ كُلَّ مَجَالِ(٥٩)

يبدأ شاعرنا قصيدته معتمدا على الحوار الداخلي، الذي يكشف لنا خبايا نفسه، وما يعتمل فيها من حزن ومرارة وإحساس حاد بالاغتراب، ويستفهم متعجبا من مناصبة الزمان له

العداء، فهو يفتح عليه كل يوم أبوابا من الشر، لا تنتهي، فالمصائب تتوالى عليه، ولا تتوقف، تحيط به من كل جانب، وكأن الزمن يعانده، ويقف له بالمرصاد، ويتخذه هدفا لأحداثه ونوائبه، وصراعه مع الزمن عنيف وغير متكافئ، فهو يكبله بالشكال، ويكلفه الجري وهنا مبعث الألم، ومكمن تأزم علاقة الشاعر بزمانه، ويحمل الاستفهام في البيت الأول دلالة التعجب والانكار ، وذلك من خلال دخول أداة الاستفهام على الجار والمجرور، الذي يفيد العموم والشمول، الأمر الذي يشي بأن شاعرنا أضحى مستهدفا من الزمان، وينهض الاستفهام في نهاية الأبيات للتعبير عن الإحساس بالانكسار والعجز أمام سطوة الزمن وهيمنته، حيث يعلق عليه أسباب فشله في تحقيق أحلامه.

ويصور سلطة الزمان المؤثرة في حياة البشر، فهو ينحاز إلى اللئام الأنذال، ويلاحق الكرام الأماجد بنوائبه، كأنه يطلبهم بثأر، ويتتبعهم تتبع الماشية للكلأ، فالمفارقة في أفعال الزمان تفضي به إلى إحساس حاد بعداء الزمان تجاهه، وتنمي لديه مشاعر الاغتراب الزماني، يقول:

عَدِمْتُ زَمَانَ السُّوءِ أمَّا بُزَاتُهُ فَعُطْلٌ وَأمَّا بُومُهُ فَحَوَالِ
أرَاهُ وَلُوعًا بالكِرَامِ يَلُسُّهَا كَلَسِّ الْخَلَى مِنْ تَيْمنٍ وَشِمالِ
كأنَّ لهُ ثأْرًا عَلى كُلِّ مَاجِدٍ جَمَالٍ لأهْلِ الأرْضِ وابْنِ جَمَالِ
فقُلْ لِبَنِي الأوْبَاشِ مَهْلاً فإنَّهَا لَيَالٍ وَتأتِي بَعْدَهُنَّ لَيَالِ(٦٠)

يستهدف الزمان شاعرنا بنكبات كثيرة، لا تعد ولا تحصى، كأنها قطرات غمام، تنهمر على رأسه دون توقف، الأمر الذي يعبر عن سطوتها واستمرارها، وتحاصره الهموم، وتتلاعب به، كما تتلاعب الخمرة بعقول شاربيها، هكذا يعترف بضعفه أمام قوة الزمن، الذي كدر حياته، وأقض مضجعه، فاستحالت حياته جحيما وعذابا، وترسخ لديه الشعور بالعجز والاغتراب، حيث يقف وحيدا، ومفتقدا للأنيس أو الرفيق أمام مصائب الزمان، الذي تجلى فاعلا ومهيمنا ومتغلغلا في حياته، الأمر الذي يعكس اغترابه، ووقوعه فريسة لسطوة الزمان. يقول:

وَأسْلَمَنِي الشَّقَاءُ إلى زَمَانٍ مَصَائِبُهُ كمَا انْهَلَّ الغَمَامُ
نَهَارٌ لاَ أُسَرُّ بِهِ وَلَيلُ يَنَامُ بِهِ السَّلِيْمُ وَلا أنَامُ
تَلاعَبُ بي خَوَاطِرُ مِنْ هُمُومٍ كَمَا لَعِبَتْ بِشَارِبِها المُدَامُ
إذا ما قُلْتُ أَهْجَعُ بَعْضَ لَيْلِي أتَتْ ذِكَرٌ يُقَضُّ لهَا المَنَامُ(٦١)

ويشعر بالاغتراب عن زمانه لانقلاب معاييره واختلال أوضاعه، فيخاطبه قائلا:

يا دَهْرُ إنْ كُنْتَ يَقْظانًا فَقُمْ عَجِلاً أوْ مَا تَزالُ إذا نُودِيتَ وَسْنانَا
فانْظرْ أُمُورًا وأحْوَالاً مُنَكَّسَةً مَا كُنْتُ قابِلَها لوْ كنْتَ يَقْظانَا
جَدْعًا وَعَقْرًا وعَثْرًا يا زَمانُ ولا لَعًا لقَدْ سُمْتنَا جَوْرًا وَعُدْوَانا
ذَهَبْتَ بِالعِزِّ واسْتبْقيْتَ لي غِرِرًا صُمًا عَنِ الخَيْرِ والمعْرُوفِ عُمْيَانا
يَرَى الغَنِيمَةَ مَنْ يَرْجُو نَوَالهُمُ أنْ لا يَعُودَ إلى نادِيْهِ عُرْيَانا(٦٢)

يشخص شاعرنا الزمان، ويتوجه إليه بالخطاب، ويشكو إليه ضيقه وحسرته من غفلته عن أفعاله المنقلبة وأحواله المنكسة، التي تعصف بأرباب الفضل، وتقف منهم موقفا عدائيا، وشاعرنا واحد منهم، لذلك يواجه انحراف الزمان بالدعاء عليه بالذلة والعثرة، هذا هو السلاح، الذي يشهره شاعرنا في وجه الزمن، وهو سلاح ناتج عن إحساسه بالعجز تجاه قوة الزمن، فقد ابتلاه بإهلاك الكرام، والعيش مع أناس أنذال، لا يقوى على العيش معهم، وهنا مكمن شعوره بالاغتراب والوحدة.

يستبد بشاعرنا الشعور بالاغتراب، فزمانه يموج بالمتناقضات، وأضحى منطقه منقلبا معكوسا بل وغير مفهوم، فالصقر يهرب من كلب الجراد، والسنور يلعب بالأسد، والحر الكريم يخشى العبد التافه، وصغار الناس تعلو على كرامها، بل وتسخر منها، وفي لحظة ضعف إنساني يتسلسل اليأس إلى نفسه من انصلاح أمر الزمان " فيتمنى أمنية غريبة، هي أمنية اليائس، الذي ضاق بكل ما حوله ومن حوله، إنه الموت، أمنية المغترب المتشرد المزحوم باليأس والمخنوق بالألم"(٦٣) هكذا يرفض الحياة، ويتمنى الموت، لانعدام الشعور بجدوى الحياة، ولعل هذه الأمنية تخلصه من ألم الاغتراب الجاثم على صدره، يقول:

يا بُغَاثَ الطَّيْرِ طِيرِي وَانْظُرِي هَرَبَ البَازِيّ من كلْبِ الجَرَادِ
وارْتعِي يا بَقَرَ الحَرْثِ فقدْ لَعِبَ الضَّيْوَنُ بالأُسْدِ الوِرَادِ
وكَذا نُودِي لإخْوانِكُمُ بعُلُوِّ الأمْرِ في كُلِّ البِلادِ
جِئْتَ يا مَوْتُ فإنْ شِئْتَ فَزُرْ ليْس عيْشُ الذُّلِّ يوْمًا مِنْ مُرَادِ
قبَّحَ اللهُ حَياةً قُرِنَتْ بِشَقًا الضَّيْمِ وإشْمَاتِ الأعَادِي(٦٤)

ويشعر شاعرنا أن الزمن يناصبه العداء، فيفتتح إحدى قصائده قائلا:

أَبَتْ نُوَبُ الأيَّامِ إلاَّ تَمَادِيَا فَوَاشِقْوَتَا ما لِلَّيالِي وَمالِيَا

إذا قُلتُ يَوْمًا حانَ مِنْهَا تَعَطُّفٌ رَأَيْتُ رَزَايَاها تَسَامَى كَما هِيَا
فَلَيْتَ أَخِلاَّئِي الّذِينَ ادَّخَرْتُهُمْ جَلاءً لِهمَّي لا عَليَّ وَلا لِيا
وَأَعْجَبُ ما يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ أَنَّنِي أَرَى القَوْمَ تَرْمِينِي بِأَيْدِي رِجَالِيا(٦٥)

تفيض هذه الأبيات بأسى عميق، يملأ خلجات نفس شاعرنا تجاه أحداث الزمان ونوائبه، فيطلق هذه الآهة متسائلا مستنكرا "ما لليالي وماليا" "ما" هنا نكرة ولكنها أبلغ من كل المعارف، لأن قصور الألفاظ عن الإحاطة بالعواطف يفسح المجال لطاقة الخيال، وتجعل الصمت أبلغ من الكلام، والنكرة أبلغ من كل المعارف(٦٦) كما توحي هذه العبارة برؤية سوداوية وبظلمة قاتلة، وما يعتري الشاعر من هموم قاسية، فالدنيا قد أظلمت أمام ناظريه، كما تعبر عن رغبة في الابتعاد عن هذا الزمان والانفصال عنه، ويبوح شاعرنا بالأسباب التي دفعت به إلى الشعور بالاغتراب، ويلقي شيئا من الضوء على منبع شقائه وتعجبه من أفعال الزمن، فرجاله وقومه هم الأداة، التي يستخدمها الدهر في محاربته.

٤- الاغتراب المكاني

ارتباط الإنسان بالوطن الذي نشأ فيه غريزة فطرية جُبل عليها، فهو ينتمي إليه، وتربطه به روابط عميقة ومتعددة، تجعله يشعر بالأمن والاستقرار وبهويته الحقيقية، ولكن إذا تحول الوطن إلى مكان للظلم والاضطهاد انفصمت هذه الروابط، التي تربط الإنسان به، وتحول إلى سجن كبير، يعاني فيه المهانة والشقاء، ويشعر فيه بالوحدة والاغتراب، فيدفعه ذلك إلى مغادرته والانفصال عنه، وكأنه يريد الانعتاق من ربقة الوطن، أو كأن الوطن هو الذي يقذف به خارج حدوده.

ويتجلى الاغتراب المكاني في النزوح عن الوطن إلى بلد آخر مع ما يصاحب ذلك من شعور بالضياع والبعد والوحشة(٦٧)

"والشعراء حين كانوا يغادرون أوطانهم، كانوا يغادرونها على كره منهم، ومن ثم كانوا يحسون بالانكسار والحزن، ذلك لأنهم كانوا يغادرون أشياء كثيرة، غير هذه الأشياء المادية، التي كانت تحيط بهم، فقد تكون هذه الأشياء علاقة حب، أو أصواتا كان يأنس بها في ضوء القمر، أو ارتباطا بنخلة نمت على عينيه.... المهم أنه كان يغادر هذه الأشياء مهموما محزونا"(٦٨)

وقد ذاق ابن المقرب مرارة الاغتراب المكاني، وعانى قسوة الغربة عن الأهل والانفصال عن الوطن، عاش حياته محروما من الأمن والاستقرار ومشاعر الألفة والمودة، يشعر بالقهر والتجاهل والهوان

من أقرب الناس إليه أبناء عمه– سواء آل علي الذين اضطهدوه، وسجنوه، واستولوا على أملاكه، أم آل الفضل الذين جحدوا فضله، وأعرضوا عنه — فواجه اغترابه في وطنه باغتراب آخر، هو الاغتراب المكاني، فجعل شد الرحال والتنقل في البلاد شعار حياته.

فما يكاد يلقي عصا الترحال من يديه، إلا ويحملها مرة أخرى، عازما على الاغتراب عن وطنه والابتعاد عن أبناء عمه، قاطعا عهدا على نفسه ألا يقبل حياة الفقر والمذلة في وطنه، فتعددت رحلاته إلى بغداد، يجوب خلالها الصحاري منفردا، أو يركب البحار وحيدا غير عابئ بالمخاطر والمتاعب، فقاسى آلام الاغتراب عن مرابع الأهل وملاعب الصبا.

ونجد في شعره نماذج كثيرة، تدل على إصراره على الرحيل عن وطنه ومفارقة دياره، ومن ذلك قوله:

سَأَرْحِلُ لا مُسْتَوْحِشًا لِفِرَاقِكُمْ ولاَ أَسِفًا يَوْمًا ولاَ مُتَنَدِّما
فإنْ حَنَّ قَلْبِيْ نَحْوَكُمْ أوْ شَكا جَوَىً فَصَادَفَ مِن زُرْقِ الأسِنَّةِ لَهْذَمَا
وإنْ دَمَعَتْ عَيْنَايَ شَوْقًا إلَيْكُمُ فَعُوِّضَتَا مِنْ ذلِكَ الدَّمْعِ بالْعَمَى
وإنْ عَارَضَ الرِّكْبانَ يَسْألُ عَنْكُمُ لِسَاني فوَافَيْتُ القِيَامَةَ أبْكَمَا
وَلا جَمَعَتْنا آخِرَ الدَّهْرِ نِيَّةٌ إلى أنْ يَضُمَّ البَعْثُ عَادًا وَجُرْهُما
فمَا فُرْقةُ الغَالِيْنَ عِنْدِيْ رَزِيَّةٌ أُقِيمُ لهَا في نَدْوَةِ الحَيِّ مَأتمَا
فإنَّ الكريمَ الحُرَّ يَشْنَا مُقَامَهُ بأرْضٍ يَرَى فيهَا السَّلامَةَ مَغْنَمَا
وَما خَيْرُ أرْضٍ لا يَزالُ كَرِيْمُها مُهَانًا وَنَذْلُ القَوْمِ فِيها مُكَرَّمَا(٦٩)

يترجم الفعل المضارع "سأرحل" عزمه على الرحيل، وما يسيطر عليه من رغبة جارفة في الانفصال عن وطنه، ويعكس لجوء الشاعر إلى الإكثار من أدوات الشرط "إن" إلى ما يعتمل في نفسه من مرارة وإحباط واغتراب، حيث توضح أفعال الشرط والجزاء حالة التمزق النفسي، التي يعاني منها، نتيجة عزمه على ترك وطنه وقطع أواصر الصلة مع مجتمعه، ومع ذلك فهو يؤثر الغربة والقطيعة على الارتباط والانتماء، حيث نلاحظ أن أفعال الشرط تضمنت حنين القلب ، ودمع العين، وسؤال الغريب، ولكن جاء الجواب صادما ، فالطعن بالرمح للقلب، والعمى للعين، والبكم للسان.

ويبالغ في إعلان القطيعة مع أهله، فيرسل هذه الآهة "ولا جمعتنا آخر الدهر نية"، ثم يوضح أن سر معاناته ورغبته في الرحيل عن وطنه إنما هو رد فعل، لما يكابده من بغض وحرمان،

فلم يجد في وطنه ودا ولا ألفة، وإنما وجد بغضا وانقلابا في القيم، فهو يواجه إساءة أبناء وطنه إليه بالرحيل عنهم.

وقد عمد شاعرنا إلى تكرار حرف النفي "لا" في البيت الأول ثلاث مرات، ليؤكد رغبته في الانفصال عن قومه، واستخدم في الأبيات ضمير المفرد المتكلم في مقابل ضمير الجمع المخاطب، الأمر الذي يشي بأنه يقف وحيدا مغتربا منفصلا عن مجتمعه.

ومن محفزات الاغتراب عند شاعرنا أن الوطن لم يعد مكانا أليفا، ينعم فيه بالأمان والراحة، بل أضحى مأوى للهوان والهموم والآلام، يقول:

فَلِي عَنْ دِيارِ الهُوْنِ مَنْأى وَمَرْحَلٌ إذا النُكْسُ ظنَّ العَجْزَ عَقْلاً فأقْرَدَا
وَعِنْدِي على الأحْدَاثِ رَأْيٌ وعَزْمَةٌ وعِيْسٌ يُبَارِينَ النَّعَامَ المطَرَّدَا
وخَيرُ جِوارٍ مِنْ عَدْوٍّ مُكاشِحٍ جِوَارُكَ ضِبْعَانًا وسِيدًا وخُفْدَدَا(٧٠)

ابن المقرب يقدم لنا المسوغات، التي جعلته يشعر بالاغتراب، فوطنه لم يقدم له سوى الخزي والذل، الأمر الذي يدفعه إلى الانفصال عنه والبحث عن وطن آخر، فيفضل العيش في جوار الحيوانات المفترسة بديلا عن جوار "عدو مكاشح" من أبناء وطنه، ويتخذ من تقديم الخبر وسيلة لإبراز رغبته في الانفصال عن قومه.

وشاعرنا يرفض الانكفاء على الذات والانعزال عن الوجود، أو الهروب من مواجهة الواقع، فهو صاحب عزيمة قوية وهمة عالية، ترفض الاستسلام والاستكانة "لمناخ السوء" ولا يراه "حتما مقدرا" يرى أن الانفصال عن موطن الذل والظلم هو بداية لمرحلة جديدة في حياته، يحقق فيها، ما يصبو إليه من آمال، وعزاؤه في اغترابه عن وطنه وأسوته في ذلك النبي الكريم، الذي هجر مكة "خير منزل" إلى يثرب، لما لقيه من أهلها من ظلم وعداء، فهذه شيم الأحرار الكرام، الذين يتحملون مرارة الاغتراب، ولا يتحملون الضيم والظلم، ويعتمد على كم الخبرية وأسلوب الشرط في تقديم حجته وتقويتها في نفس المتلقي، يقول:

فكمْ فَارقَ الأوْطانَ مِن ذِي ضَرَاعَةٍ فأصْبَحَ في كلِّ النَّوَاحِي مُحَسَّدَا
وَكمْ واتَنَ الأوْطانَ مِن ذِي جَلادَةٍ فأضْحَى بها مِن غَيْرِ سُقْمٍ مُسَخَّدَا
فإنْ أرْتَحِلْ عن دَارِ قوْمِي لِنبْوَةٍ وَيُصْبِحُ رَبْعِي فيهِمُ قدْ تَأبَّدَا
فقدْ رَحَلَ المخْتَارُ عَن خيْرِ منْزِلٍ إلى يَثْرِبٍ تسْرِي به العِيسُ مُصْعدَا(٧١)

وفي لحظة من لحظات الصراع الداخلي العنيف يعلن عن انسلاخه عن وطنه وانفصاله عن أي رابط يربطه به، يقول:

بِيني فمَا أنْتِ مِنْ جِدِّي ولا لعِبِي مالِي بشَيْءٍ سِوَى العَلْياءِ مِن أرَبِ
لا تُكثِرِي مِن مقالات تَزيدُ ضَنًى ما الخَطُّ أُمِّي ولا وَادِي الحَسَاءِ أَبِي
في كلِّ أرْضٍ إذا يَمَّمْتُهَا وَطنٌ ما بيْنَ حُرٍّ وَبيْنَ الدَّارِ مِن نَسَبِ
لي عَنْ ديارِ الأذَى والهُونِ مُتَّسَعٌ ما كُلُّ دَارٍ مَنَاخُ الوَيْلِ والحَرَبِ
لا تَنْسِبُوني إلى مَنْشَايَ بَيْنَكُمُ التُّرْبُ تُرْبٌ وفيه مَنْبَتُ الذَّهَبِ
لا تَحْسَبُوا بُغْضِيَ الأوْطانَ مِنْ مَلَلٍ لا بُدَّ لِلوُدِّ وَالبغْضَاءِ مِنْ سَبَبِ
قِلٌّ وذُلٌّ وَخِذْلانٌ وَضَيْمُ عِدًى مُقَامُ مِثْلِي عَلى هذا مِنَ العَجَبِ
إذَا الدِّيارُ تَغَشَّاكَ الهَوَانُ بِهَا فخَلِّها لضعيفِ العَزْمِ واغْترِبِ[٧٢]

نلمس في هذا النص عمق المعاناة، التي يعانيها ابن المقرب، فهو يحاول أن يقمع صوت ذاته الداخلية، التي تذكره بارتباطه بوطنه وانتمائه التاريخي إليه، فيطلق هذه الصرخة القوية "بيني فما أنت من جدي ولا لعبي" فيأمرها أن تفارقه وألا تكثر "من مقالات تزيد ضنى"، وتشعل آلامه وأحزانه، وفي محاولة دفاعية يحاول أن يخفف حدة الصراع الداخلي، الذي يثور في نفسه، فيقدم هذه الحجة "ما الخط أمي ولا وادي الحساء أبي" الأمر الذي يعني سطوة إحساس الشاعر بالاغتراب والمرارة.

فهو يفتقد مشاعر الدفء والأمان في وطنه، ولم تعد تربطه به أية علاقة، فقد أضحى بالنسبة إليه موقعا جغرافيا، يمكن الاستغناء عنه بكل سهولة بمساحة أخرى من الأرض "في كل أرض إذا يممتها وطن" فلا يربطه بوطنه أي رباط عاطفي، ثم يفصح عن دوافع هجرته وأسباب اغترابه، فهو يرفض الإقامة في موطن الذل والأذى "لي عن ديار الأذى والهون متسع" ويشعر بعدم الانتماء إلى وطنه أو الانتساب إلى قومه "لا تنسبوني إلى منشاي بينكم" فشاعرنا محاط بمظاهر اغترابية حادة، تكاد تعصف بحياته، فهو يعيش وحيدا، يتجرع آلام الذل وخذلان الأصدقاء وظلم الأعداء، لذلك فهو مصر على النزوح عن الوطن وترك الديار.

ويصرح شاعرنا دائما برغبته في الرحيل عن وطنه والاغتراب عن أهله حفاظا على كرامته ورفضا للضيم والمذلة، فالابتعاد عن الوطن الذي يتخلى عن أبنائه ليس عقوقا، بل هو حفاظ على الكرامة ورفض للضيم والذل، يقول مخاطبا نفسه:

وإنْ وَطنٌ سَاءَتْكَ أخْلاقُ أهْلِهِ فدَعْهُ فما يُغْضِي عَلى النَّقْصِ ماجِدُ
فما هَجَرٌ أمٌّ غذَتْكَ لِبانُها ولا الخَطُّ إذْ فارقْتَها لكَ وَالِدُ
وَقدْ رُبَّمَا يَجْزِي على الصَّدِّ والقِلَى أبٌ وأخٌ والمرْءُ مِمَّنْ يُسَاعِدُ
فَبُتَّ حِبَالَ الوَصْلِ مِمَّنْ تَوَدُّهُ إذا لمْ يَرِدْ كلَّ الذي أنْتَ وَارِدُ(٧٣)

ويذكر لنا حوارا دار بينه بين صاحبيه، يحثانه على أن يتخلى عن فكرة الرحيل والاغتراب، فيقول:

خَلِيْلَيَّ كُفَّا عنْ جِدَالِي فإنَّنِي أرَى الرَّأيَ كُلَّ الرَّأيِ أنْ أتَرَحَّلاَ
فَقدْ جاءَ في بيْتٍ مِن الشِّعْرِ سَائِرٍ لنَا مَثَلٌ مِنْ عَالِمٍ قدْ تَمثَّلاَ
وإنَّ صَرِيحَ الرَّأيِ والحَزْمِ لامْرِئٍ إذا بَلغَتْهُ الشَّمْسُ أنْ يَتَحَوَّلا
فَكَيْفَ بِنَارٍ لا يَزَالُ وَقودُهَا حَدِيدًا إذا حِيْشَتْ بِرِفْقٍ وَجَنْدَلاَ
إلى كَمْ أُدارِي بَيْنَ قوْمِي وأتَّقِي وَأَصْدَى فأسْقَى الماءَ صَابًا وحَنْظَلا(٧٤)

شاعرنا يرفض أن يستمع إلى نصيحة صاحبيه اللذين يرجوانه أن يتخلى عن فكرة الرحيل والاغتراب عن وطنه، مؤكدا لهما أنه قد وصل إلى قناعة أن الرأي الأصوب هو الرحيل والانفصال، ويتناص مع أبي تمام ليقوي موقفه العازم على الرحيل، مستشهدا ببيت شعر له مؤداه، أن الإنسان عندما تلفحه الشمس بحرارتها، ينبغي عليه أن يتنحى عن موضعه، وربما كان صاحباه انعكاسا لصوت ذاته الداخلية، التي تؤرقه، وتلومه على كثرة ترحاله واغترابه، فيحاول أن يسكت هذا الصوت الداخلي، الذي يعتمل في صدره من خلال اعتماده على قول أبي تمام:

وإن صريح الرأي والحزم لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا(٧٥)

ألف ابن المقرب حياة الترحال، فهو في رحيل دائم عن وطنه، فلم يكن "يعود من إحدى رحلاته، إلا لتحدثه نفسه بالرحيل والغربة مرة أخرى، دأبه المسير والسرى عزيز النفس شامخ الأنف، يرفض الذل والخضوع والهوان"(٧٦) ويذكر لنا حوارا دار بينه وبين زوجه، وقد أزف الرحيل، ودموعها تفيض على الخدين، والألم يعتصر قلبها خوفا عليه وحزنا على فراقه، يقول:

وقَائِلةٍ وَالعِيْسُ تُحْدَجُ لِلنَّوَى ودَمْعُ الجَوَى قدْ جَالَ في الخَدِّ جَائِلُهْ
عَلَيْكَ بِصَبْرٍ وَاحْتِسَابٍ فإنَّمَا يَفُوتُ الثَّنَا مَنْ رَاحَ والصَّبْرُ خَاذِلُهْ
ولا تَرْمِ بالأهْوَالِ نَفْسًا عَزِيزَةً فَذَا الدَّهْرُ قدْ أوْدى وقامَتْ زَلازِلُهْ

فَكَمْ كُرْبَةٍ في غُرْبةٍ وَمَنِيَّةٍ بِأَمْنِيَّةٍ والرِّزْقُ ذُو العَرْشِ كافِلُهْ(٧٧)

فزوجه تحاول أن تثنيه عن الرحيل، وتحثه على الصبر والرضا والبقاء في الوطن، وتخوفه من أهوال الغربة وآلامها، وتدعوه إلى حياة الاستقرار والاطمئنان، وتحاول أن تطمئن قلبه، وتريح باله "فالرزق ذو العرش كافله" فيستجمع قواه في هذا الموقف القاسي، ويجيبها بإصراره على الرحيل غير مبال بالموت أو بآلام الاغتراب، قائلا:

فَقُلْتُ لهَا وَالعَيْنُ شَكْرَى بِزَفْرَةٍ أُرَدِّدُها والصَّدْرُ جَمٌّ بَلابِلُهْ
أ بالمَوْتِ مِثْلِي تُرْهِبِينَ وَبِالنَّوَى وَعَاجِلُهُ عِنْدِيْ سَوَاءٌ وآجِلُهْ
ولَلْمَوْتُ أَحْيَا مِن حَياةٍ بِبَلْدَةٍ يُرِي الحُرَّ فيها الغَبْنَ مَنْ لا يُشَاكِلُه
ومَا غُرْبَةٌ عنْ دَارِ ذُلٍّ بِغُرْبَةٍ لوْ أنَّ الفَتَى أَكْدَى وغشَّتْ مآكِلُه
وَرُبَّ غَرِيبٍ نَاعِمٍ وابْنِ بَلْدَةٍ تُبَكِّيهِ قَبْلَ الموْتِ فيها ثَواكِلُهْ
وإنَّ مُقَامِيْ يا ابْنةَ القَوْمِ لِلْقلى وللضَّيْمِ لَلْعَجْزُ الذي لا أُزَامِلُهْ
فلا تُنْكِرِي خَوْضِي الطَّوَامِيْ وجَوْبِيَ والْ مَوَامِيْ إذا الآلُ اسْجَهَرَّتْ طَيَاسِله(٧٨)

شاعرنا يقبل مرارة الموت، ولا يقبل حياة الذل والخضوع، فالغريب في رأيه هو من يعاني وطأة الذل والحرمان في بلده، لذا يطلب منها أن تدعه يرحل، وألا تنكر عليه جوب الصحاري صونا لكرامته وبعدا عن موطن الضعف والعجز، ويحاول أن يهدئ من خوفها، فالغريب الحق هو من يعاني الشقاء والذل في وطنه، فرب غريب ينعم بحياة كريمة، ويجد الراحة والأمان في البعد عن بلده.

هكذا نجد في ساحة هذه الأبيات صوتين متضادين: صوت الزوجة المشفقة على زوجها من مغبة السفر وأهوال الاغتراب، تحاول أن تقنعه بالبقاء وعدم الرحيل، وصوت الشاعر: الذي يجسد الرغبة في الانفصال عن موطن الذل، معلنا عزمه على الرحيل رافضا الاستكانة والخضوع، فقد اتخذ الغربة طريقا والاغتراب شعارا لحياته.

المحور الرابع: وسائل تجاوز الاغتراب

ثمة وسائل يلجأ إليها الإنسان المغترب للتغلب على عزلته وتبديد شعوره بالاغتراب، يطلق عليها بعض النقاد "المنهج التعويضي"(٧٩) لعل هذه الوسائل تساعده على تخطي مشاعر

الاغتراب، وتمنحه بعض الهدوء النفسي والاتزان العاطفي، الذي يعينه على مواصلة حياته،، وقد وظف ابن ضالمقرب بعض هذه الوسائل، ليخفف من وطأة شعوره بالاغتراب، ومن أهمها:

١- إعلان الصمود والتحدي

دأب ابن المقرب على إعلان صموده وتحديه لنوازل الأيام، ومواجهته لها بهمة عالية وصبر جميل، فهو صاحب عزيمة قوية، تأبى الذل والضيم، وتألف حياة النزوح والارتحال، لا تخضع لحوادث الزمان، ولا تلين أمام نوائبه، وربما كان إكثاره من هذه المعاني انعكاسا لشعوره بالاغتراب، وتعزية لنفسه عن الواقع المرير الذي يعيشه، فصموده يمنحه القوة والثقة بالنفس، وعدم الركون إلى مشاعر العجز والهوان، إنه وسيلة تريح قلبه وتقويه، لعله يستطيع أن يجتاز مشاعر الاغتراب الحادة، التي يعانيها.

يفتتح إحدى قصائده بإعلان صموده في مجابهة الزمن، فيقول:

أتَدْرِي الليالي أيَّ حَصْمٍ تُشَاغِبُهْ وأيَّ هُمامٍ بالرّزَايا تُواثِبُهْ
تَجاهَلَ هذا الدَّهْرُ بي فتكتَّبتْ عَليَّ بأنْواعِ البلايَا كتَائِبُهْ
وَظنَّ مُحالاً أنْ أدِينَ لحُكْمِهِ لتبْكِ على عَقْلِ المعَنَّى نوادبُهْ
وإنِّي وإنْ أَبْدي اصْطِبارًا بخدِّهِ وأوْجَفَ بي وازْوَرَّ للبُغْضِ حَاجبُهْ
لأُنْمي على بَغْضَائِهِ وازْورَارِهِ وأعْجَبُ منْ حُرٍّ كريمٍ يُعاتبُهْ
وَأسْتقبلُ الخطبَ الجليلَ بثاقبٍ من العزْمِ يعلُو لاهِبَ النارِ لاهِبُهْ
ورأيٍ متى جَرَّدْتُه وانتضيتُهُ وجَدْتَ حسامًا لمْ تُفلَّلْ مضَاربُهْ(٨٠)

تظهر هذه الأبيات نفس مغتربة، تتحلى بالصبر والعزيمة، ويعكس الاستفهام الانكاري في مطلع القصيدة حالة الصمود والتحدي، التي تنتاب شاعرنا تجاه حوادث الليالي ونوائب الزمان، معلنا أنه لن يخضع لها، ولن ينكسر أمامها، ثم يبرر ما ينفرد به من صفات تؤهله لمقارعة الزمان من قوة العزيمة وصلابة القامة وسداد الرأي، هكذا اختفت نغمة الحزن المليئة بالعجز والانكسار والشكوى من قسوة الزمان، التي تحدثنا عنها في الاغتراب الزماني، لتحل محلها مشاعر الشجاعة والصمود، التي لجأ إليها الشاعر ليخفف من شعوره بالاغتراب، الذي يعكر عليه صفو حياته.

ويلح على هذه المعاني كثيرا، فهو محارب عنيد ومقاتل شرس، يشهر سيف عزيمته في مواجهة نوائب الزمان، معرضا عن معاتبته أو لومه، لأنه ليس سماعا لمن يعاتبه، لذلك يقابله بعزيمته، التي تشبه السيف القاطع، يقول:

أبَى الدَّهْرُ أنْ يلقَاكَ إلاَّ مُحاربًا فجرَّدْ له سَيْفًا مِن العزْم قاصِبَا

ولا تلْقَهُ مُستعتِبًا مِنْ ظُلامةٍ فما الدَّهْرُ سمَّاعًا لمنْ جاءَ عاتبَا[٨١]

ويشيد بشجاعته وقوة جنانه ومقارعته الخطوب بعزم وثبات، يقول:

لا صَاحَبَتْنِيَ نَفْسٌ لا تُبَلِّغُنِي مَرَاتِبَ العِزِّ لوْ فِي نَاظِرِ السَّبُعِ
سَيَصْحَبُ الدَّهْرُ مِنِّي ماجِدٌ نَجِدٌ لوْ دَاسَ عِرْنِينَ أَنْفِ المَوْتِ لمْ يُرَعِ
أَأَقْبَلُ النَّقْصَ والآباءُ مُنْجِبَةٌ والبَيْتُ فِي المجْدِ ذُو مَرْأَى وَمُسْتَمَعِ
لأَرْكَبَنَّ مِنَ الأَهْوَالِ أَعْظَمَها هَوْلاً ومَا يَحْفَظُ الرَّحْمَنُ لمْ يُضَعِ[٨٢]

يعتز شاعرنا بصبره، الذي يستعين به في مواجهة نوائب الزمان، فصبره جاوز حدود الشباب، فهو يشبه صبر الكهول للدلالة على الرسوخ والثبات أمام نوائب الزمان، الأمر الذي يمنح نفسه الاطمئنان، يقول:

كمْ عايَنَ الدَّهْرُ مِنِّي صَبْرَ مُكْتَهِلٍ إذْ ليْسَ يُوجَدُ صَبْرُ العَوْدِ فِي الجَذَعِ
وكمْ سَقانِيَ مِنْ كأسٍ على ظمَأٍ أمَرَّ فِي الطَّعْمِ مِنْ صَابٍ ومِنْ سَلَعِ
وما رَمَتْنِي بِكُرٌ مِنْ نَوائبِهِ إلاَ صَكَكْتُ بصَبْرِي هَامَةَ الجَزَعِ[٨٣]

وتحاول صاحبته أن تخفف من اغترابه، وتسري عنه أحزانه، وتبعث في نفسه الأمل، يقول:

وَقائِلةٍ هَوِّنْ عَليْكَ فإنَّها متاعٌ قليلٌ والسَّلامةُ فِي الزُّهْدِ
فإنْ عَلتِ الرُّوسَ الذُّنَابَى لِسَكْرَةٍ مِنَ الدَّهْرِ فاصْبِرْ فهْوَ سُكْرٌ إلى حَدِّ
فقدْ تَمْلِكُ الأُنْثَى وقدْ يَلْثَمُ الحَصَى وَيُتَّبعُ الأَغْوَى ويُسْجَدَ لِلقِرْدِ
ويَعْلُو على البَحْرِ الغُثَاءُ ويَلْتَقِي على الدُّرِّ اَمْوَاجٌ تَزِيدُ على العَدِّ
وكمْ سَيِّدٍ أمْسَى يُكَفِّرُ طاعةً لأَسْوَدَ لا يُرْجَى لِشُكْمٍ ولا شُكْدِ
ولا بُدَّ هذا الدَّهْر مِنْ صَحْوِ سَاعَةٍ يَبِينُ لنَا فيها الضَّلالُ مِن القَصْدِ
فقُلتُ لها عَنِّي إليْكِ فقلَّما يَعيشُ الفتَى حتَّى يُوَسَّدَ فِي اللَّحْد
أَبَى اللهُ لِي والسُّؤْدَدُ العَوْدُ أنْ أُرَى بأَرْضٍ بها تعْدُو الكِلابُ عَلى الأُسْدِ
أَلَمْ تعْلمِي أنَّ العُتوَّ نَباهَةٌ وأنَّ الرِّضَا بالذُّلِّ مِن شِيمَةِ الوَغْدِ[٨٤]

الفكرة الأساسية التي يدور حولها حوار صاحبته هي تقلب الزمان وعدم ثباته، فالزمن لا يستقيم على حال، واعوجاجه مهما كان حادا لا يدوم، لذلك تدعوه إلى التجلد والصبر أمام صروف الزمان ونكباته، فلا بد من يوم يصحو فيه إلى رشده، ويرجع عن غيه، هذا هو قانون الحياة، فلابد أن يطوي الزمن صفحته يوما ما، لكن شاعرنا يرفض التعلق بهذه الأسباب، فلم يعد قادرا على تحمل تجاوزات الزمان، فيعلن عزمه على الرحيل ومواجهة فساد الزمان واعوجاجه، غير عابئ بالمهالك أو المكاره، مستشعرا قوته وعزمه، ساخطا على الزمان وأهله.

فشاعرنا يستمد من قوة إرادته وصموده وصبره ما يواجه به اغترابه، وكأنه يستعيض بمشاعر العجز والهوان والإحباط مشاعر القوة والصلابة والإرادة.

٢- استعادة الماضي

"للماضي نكهة خاصة عند الإنسان، لاسيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله، وأخذ الاغتراب بخناقه، فالماضي على وفق هذا التصور مرفأ، يرتاده الشاعر فرارا من الألم والتماسا للراحة، وإن كان في الحلم أو الخيال"(٨٥)

يلجأ الشاعر إلى استدعاء الماضي، ليستظل بظله من قسوة زمانه الحاضر، وليخفف من مرارة شعوره بالاغتراب "فالحنين إلى الماضي محاولة للانعتاق من وطأة الحاضر، وهو غربة عن الواقع (الحاضر)، فحين يشعر المرء أن حياته قد قست عليه، فإنه يجد متنفسا بالهروب منها إلى الماضي..... إذ ينفصل عن لحظته وحياته الحاضرة، ويتصل بالماضي بحثا عن ملجأ له فيه، وهو بذلك يخلق توازنا في ذاته، يحرره من قلق اللحظة وبؤس الواقع"(٨٦)

فلا ريب في أن استعادة الشاعر للماضي هي محاولة يعزي بها نفسه "من ألم الحاضر، وهي إغفاءة مؤقته كفيلة بأن تنسيه واقعه النكد، فهو لا ينفك يعود إلى الماضي وذكرياته، ليخلق جسرا من التوازن العاطفي، يعوضه عن نكسات الحاضر القلق"(٨٧) "ويتجاوز به ضغوطه، ويخلصه من قبحه، وعندئذ يخرجه من دائرة اغترابه إلى عالم أكثر رحابة وإنسانية، يسمح له بتذوق الحلم، أو بتجاوز أحزانه، وعندئذ تتحول الظاهرة إلى ضرب من التعويض النفسي لدى الشاعر"(٨٨)

ويهرب شاعرنا إلى أيام شبابه وذكرياته الجميلة باليمامة، حيث رغد الحياة وفتوة الشباب وأيام الود والصفاء، حيث ينعم بالبهجة وأسباب اللهو والطرب، ويصور أثر شبابه في النساء، ومشاعرهن المتدفقة نحوه بالإعجاب والتقدير، فقد شغفهن غراما، هكذا يعود إلى ذكريات الماضي هروبا من هموم الحاضر، لعله بذلك يعيد لنفسه اتزانها، يقول:

للهِ أيَّامُ الصِّبَا إذْ دَارُنَا حَجْرُ القُرَى وَلنَا بإجْلَةَ مَعْهَدُ
إذْ لِمَّتِي تَحْكِي الغُدَافَ وإنَّمَا أشْهَى الشُّعُورِ إلى العُيُونِ الأسْوَدُ
والخَدُّ مِنْ ماءِ الشَّباب كأنَّما فيهِ لأحْدَاقِ الكوَاعِبِ مَوْرِدُ
كمْ ليلةٍ طالتْ فَقَصَّرَ طُولهَا شَدْوُ المَزَاهِرِ والغَزَالُ الأغْيَدُ
وَتَرَنُّمُ الأوْتارِ في يَدِ قَيْنَةٍ غَنِجٍ يَدِينُ لها الغَرِيضُ ومَعْبَدُ(٨٩)

تحمل هذه الأبيات بألفاظها السلسة العذبة دلالات الأمن والاستقرار، وتنقلنا إلى أجواء الأنس والسرور، التي تملأ ذات شاعرنا، والتي تنبع من استدعاء أيام الصبا، التي يتمسك بها ، ليداوي جراح اغترابه، هكذا تحل مشاعر السعادة والسرور محل مشاعر الحزن والاغتراب.

ويلوذ شاعرنا بأطلال قومه متخذا من المكان / الطلل جسرا، يعبر من خلاله إلى الزمن الماضي وعالم الذكريات، ليأنس به، يقول:

سَائِلْ دِيَارَ الحَيِّ مِنْ مَاوَان ما أحْدَثتْ فيها يَدُ الحَدَثانِ
وأطِلْ وُقُوفَكَ يَا أُخَيَّ بِدِمْنَةٍ قدْ طالَ في أَطلاَلِهَا إدْمَانِي
كانَتْ جِنانًا كالجِنانِ فأصْبَحَتْ لِلوَحْشِ مُوحِشَةً وَلِلجِنَّانِ
لما وَقفْتُ العِيسَ في عَرَصَاتِها ذَهَبَ العَزَاءُ وَأقْبَلتْ أجْفَانِي
وذَكَرْتُ أيَّامًا خَلوْنَ وأعْصُرًا ذِكْرِي لهُنَّ لِسَلْوَتِي أنْسَانِي
وَكَوَاعِبا بِذَوِي العُقُولِ لّوَاعِبا بِيضَ الخُدُودِ نَوَاعِمَ الأبْدَانِ
مِنْ كُلِّ خرْعَبَةٍ تُرِيكَ إذا بَدَتْ بَدْرَ الدُّجُنّةِ فَوْقَ غُصْنِ البانِ(٩٠)

يعبر الشاعر عن غربته الزمانية من خلال وقوفه على أطلال ديار قومه في اليمامة، ويفجع بالتغير الهائل، الذي أصابها، فقد صارت خرابا ومأوى للوحوش والجن، بعد أن كانت تشبه في البهاء والحسن جنان الفردوس، ويستحضر صورة الديار أمام عينيه "كانت جنانا كالجنان" ويوحي لفظ كانت بالفناء والتلاشي، وبقوة التغيير الذي مارسه عليها الزمن، الأمر الذي يكشف عن الألم، الذي يعصف بجوانحه، وهو في حضرة الأطلال، ويحاول أن يسلو جراحه وهمومه، وأن يطفئ لهيب الاغتراب في صدره، فيحتمي بعالم الذكريات، وتلوح في ذهنه ذكرياته السعيدة وأيامه الجميلة، التي قضاها في تلك الديار، ينعم فيها بفتيات فاتنات.

ونلحظ أن شاعرنا لم يسهب في وصف معالم الديار الدارسة، وما أصابها من تغير، ولم يفصل في ذكر الوحوش، التي عمرتها بعد رحيل أهلها، وكأنه يحاول التشبث بالزمن الماضي، مصدر سعادته وبهجته. فالمقدمة الطللية تفصح عن "الطلل / المكان وفاعلية الزمن ببعديه الحاضر والماضي، لذا فإن الإدراك لوشائج الترابط بين المكاني والزماني التي أحدثها الشاعر، تقربنا إلى اكتناه واقع الشاعر وموقفه بصفته إنسانا، ينفعل ويتأثر بالوجود"(٩١)

ولم تتوقف استعادة الزمن الماضي على الأحداث الخاصة بشاعرنا، لكنه عمد إلى استدعاء الماضي الجمعي لدولته، في محاولة منه لتخفيف آلام اغترابه، ورد فعل منه على ما يراه من ضعف وتخاذل الأمراء العيونين في مواجهة أعداء الدولة، فيستعيد التاريخ المشرق والأيام المضيئة لبعض أمراء الدولة العيونية السابقين، فيستحضر ذكريات ماض مجيد، حافل بالبطولات والأمجاد، لعله ينفس عن همومه، وما يشعر به من اغتراب وإحباط نتيجة الوضع المتردي لدولته.

فإذا به يهرب إلى ماض المجد والعز من واقع ذليل، وحاضر يقيده، وكأنه يوازن" بين ماض مكتنز بالمآثر، أي ماض لا مغترب، وبين حاضر حافل بالمآسي، أي حاضر مغترب"(٩٢)

يستحضر أمجاد قومه في الجاهلية، ويتغنى بسيادتهم على جميع قبائل معد، ويشيد بانتصاراتهم الحربية، التي كسرت شوكة أعدائهم من العرب والعجم، يقول:

في الجَاهِلِيَّةِ سُدْنَا كُلَّ ذِي شَرَفٍ	بِالمِأْثُرَاتِ وَسُدْنَا العُرْبَ والعَجَمَا
وسَارَ كُلُّ مَعَدِّيٍ لنا تبَعًا	يَرْعَى بِأَسْيافِنَا الوَسْمِيَّ حَيْثُ هَمَى
حُطْنَا نِزَارًا وذُدْنا عَنْ مَحَارِمِها	ولمْ نَدَعْ لِمُنَاوِي عِزِّها حَرَمَا(٩٣)

ويستعيد دور قبيلته في الدفاع عن الإسلام ضد القرامطة، الذين عاثوا في الأرض فسادا، وعطلوا إقامة شعائر الله، وعم فسادهم البلاد من مكة إلى العراق والشام، فقد استطاع قومه القضاء على القرامطة نهائيا، وانتزعوا البحرين من أيديهم، وأزالوا دولتهم من الوجود بعد معارك طاحنة وحروب قاسية، يقول:

سَلِ القَرَامِطَ مَنْ شَظَّى جَماجِمَهُمْ	فَلَقًا وَغَادَرَهُمْ بَعْدَ العُلاَ خَدَمَا
مِنْ بَعْدِ أنْ جَلَّ بالبَحْرَيْنَ شَأْنُهُمُ	وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بالغَاراتِ والحَرَمَا
وَلمْ تَزَلْ خَيْلُهُمْ تَغْشَى سَنابِكُها	أرْضَ العِرَاقِ وتَغْشَى تَارَةً أدَمَا
وأبْطلُوا الصَّلوَاتِ الخَمْسِ وانْتَهَكُوا	شهْرَ الصَّيامِ وَنَصُّوا مِنْهُمُ صَنَمَا
وطالبَتْنَا بَنُو الأعْمَامِ عَادَتَنا	فلمْ تَجِدْ بَكَمًا فِيْنَا ولا صَمَمَا(٩٤)

ويستدعي بعض الأمراء العيونيين البارزين من خلال آلية الدور أو الموقف مشيدا بمناقبهم وأجل أعمالهم، فيستدعي شخصية جده مؤسس الدولة وولده الفضل في قوله:

مِنَّا الذي جَادَ بالنَّفْسِ الخَطِيرَةِ في عِزِّ العَشِيْرَةِ حَتَّى اسْتَرْحَلَ العَجَمَا
مِنَّا الذي قامَ سُلطانُ العِرَاقِ لهُ جَلاَلَةً والمَلا والبُعْدُ بَيْنَهُما
مِنَّا الذي حَازَ مِنْ ثَاجٍ إلى قَطَرٍ وَصَيَّرَ الرَّمْلَ مِنْ مالِ العَدُوِّ حِمَى(٩٥)

شاعرنا يبحر بسفينته نحو الماضي، ويغوص في عالم الذكريات، مستحضرا مواقف عظيمة وأعمالا جليلة لبعض الأمراء العيونيين، مستعليا من خلالها على أحزانه وهمومه، لعلها تنشله من أحزانه وغربته "وتشكل القوة المضادة للواقع المرير الذي يمر به، واقع الاغتراب والانكسار وزوال الملك"(٩٦)

وقد اعتمد شاعرانا على تكرار "منا" ليثبت تفوق أجداده ، فهم أصحاب مجد وسيادة، استطاعوا أن يوطدوا أركان دولتهم، الأمر الذي يقوده إلى عالم الأمن والاستقرار ، ويشفى نفسه المغتربة، ويفرج عنه همومه وأحزانه.

٣- الحنين إلى الوطن

تسيطر مشاعر الحنين إلى الوطن على الإنسان الغريب، وتستبد بالإنسان المغترب، فالحنين إلى الوطن يحمل في طياته الشعور بالانتماء، الذي يحاول من خلاله التغلب على المشاعر التي أرغمته على الانفصال، والتخلص من الأبعاد النفسية المترتبة عليها، والتي تستحوذ على ذاته، الأمر الذي يعيد لذاته المغتربة اتزانها النفسي، ويساعدها على مغادرة أجواء الحزن، والانفلات من مشاعر الاغتراب التي تحاصرها.

ولم يخل شعر ابن المقرب من شواهد كثيرة، تدل على حنينه إلى وطنه وشوقه إليه وتعلق قلبه الدائم به، على الرغم من أنه لم ينعم في وطنه بحياة الاستقرار والهدوء، وعلى الرغم من تصريحه الدائم برغبته في الرحيل عنه، ورفض الإقامة فيه، ويعلل د. الخضيري ذلك بقوله " وإذا كان الشاعر قد أكثر من إعلان الرحيل، والتخلي عن البلد الذي لقي فيه الإهانة، فليس ذلك عقوقا منه للأرض التي نشأ بين ربوعها، وأحبها، وليس هجرا للوطن، الذي ولد فيه، وقامت على ترابه دولة آبائه، ولكن ضيقه بهذا الوطن وسخطه على ساكنيه إنما هو رد فعل، لما لقيه من بني عمه من سجن وعذاب وهوان، بل لقد كان وفيا لقومه وعشيرته، محبا لوطنه وبلده"(٩٧)

شاعرنا مرتبط بوطنه ارتباطا عاطفيا، على الرغم من اغترابه عنه وبعد المسافة، فيشده الحنين إليه، وهو في بغداد، فيدعو صاحبه المسافر، أن يعرج بناحية جرعاء الشمال ، حيث يقع منزل الشاعر ومرابع الأهل وملاعب الصبا، التي يجرفه شوق عارم إليها، وحيث يقف قصر القرمطي شاهدا على مجد أجداده وانتصاراتهم، هكذا يرتبط المكان بالزمان للدلالة على انتماء الشاعر بوطنه واعتزازه بتاريخه، يقول:

فيا رَاكبًا تَطوِي به البِيدَ جَسْرَةٌ وتَغْتالُ غيطان الفَلاَ والأخَاشِبَا
إذَا أنْت ألقيْتَ العِصِيَّ مُخيِّمًا بالأحْسَا وجاوَرْتَ الملوكَ الأطايبَا
فيمِّمْ لجرعاءِ الشَّمال فإنَّ لِي بها خِلة أُشْتَاقُها وملاعِبَا
وقِفْ وقْفةً بالدَّرْبِ غَرْبِيَّ بابها فثمَّ تُلاقِي أُسْرتي والأقاربَا
فَتلقَى مُلوكًا كالأهِلَّة لم تَزَلْ تَهَشُّ إلى الجُلَّى وتأبَى المعايبا
وإنْ تأتِ قَصْرَ القُرْمطيِّ تَجِدْ بهِ جَمَاجِمَ قومي والقرومَ المصاعبا
ذَوِي الملكِ وَالتِّيجانِ والمنصِبِ الذي سَمَا فَعَلاَ فَخْرًا فجازَ الكواكبا
فقُلْ لهُمُ بعدَ السَّلامِ مقالةً تعُمُّ بها عنِّي شبابا وشائبَا
كفَى حَزَنًا أنِّي ببغدادَ مفْردٌ عنِ الأهْلِ ألقَى كلَّ يومٍ عَجَائِبَا(٩٨)

وفي إحدى رحلاته وهو يعبر نهر دجلة، تلامس مسامعه نوح حمائم، فتهز نفسه هزا عنيفا، وتوقظ فيها مشاعر الحنين إلى الوطن ولوعة فراق الأهل، ويوازن بين حاله وحالهن، فينكر عليهن حزنهن، ويرى أنه أحق منهن بالنوح، فهو غريب وحيد، شفه الشوق والحنين، أما هن فلم يفارقن ديارهن، ولم يعانين مشاعر الغربة، وينعمن بحياة هانئة بين الماء والأشجار والأهل والأحبة، هكذا أثار سجع الحمائم لواعج نفسه، ونكأ آلام غربته واغترابه، وذلك عن طريق الموازنة بين حالتين متناقضتين: حالة الشاعر وحالة الحمائم، يقول:

صَبَا شَوْقًا فَحَنَّ إلى الدِّيارِ وَنَازَعَهُ الهَوَى ثوْبَ الوَقَارِ
وَهَاجَ لهُ الغَرَامَ غِنَاءُ وُرْقٍ هَواتِفُ في غُصُونٍ مِنْ نُضَارِ
صَدَحْنَ غُدَيَّةً فَتَرَكْنَ قلْبِي وكانَ الطَّوْدَ كالشَّيْءِ الضِّمارِ
رُوَيْدًا يا حَمَامُ بِمُسْتَهامٍ مَشُوقٍ مَنَّهُ طُولُ السّفَارِ
بَرَاهُ الشّوْقُ بَرْيَ القِدْحِ جدًّا فغَادَرَهُ بقلْبٍ مُسْتَطارِ
فَواعَجبًا لكُنَّ تَنُحْنَ خَوْفَ الْـ ـفِراقِ وما بَدَتْ خيْلُ المغَارِ
وأنْتُنَّ النَّوَاعِمُ بَيْنَ بانٍ وَخِيْرِيٍّ يَرِفُ وَجُلَّنارِ(٩٩)

يشتد به الحنين إلى وطنه، فيقول:

يا حَبَّذَا وادِي الحَسَاءِ فإنَّهُ لوْ ساءَنِي وادٍ إليَّ مُحَبَّبُ
يا حبَّذا دَرْبُ السَّلِيمِ وحَبَّذا ذاكَ القَطِينُ بِهِ وذاكَ المِلْعَبُ
وعِصَابَةٌ فارْقْتُهم لا عَنْ قِلىً مِنِّي ولا لِي غيرُ وَالدِهِمْ أبُ[١٠٠]

ابن المقرب شاعر محب لوطنه متعلق به، على الرغم من الإحساس الذي لازمه طوال حياته بالرغبة في الرحيل والابتعاد عنه، إلا أنه حيثما ذهب، كان الحنين يشده إليه، وكأن كل خطوة تبعده عن وطنه تشعل في نفسه نار الشوق إليه، وكأنها رد فعل على إحساسه بالاغتراب، يستعيض من خلالها مشاعر الشوق والحنين بمشاعر الاغتراب والانفصال، يستبدل بمشاعر الانفصال والانسلاخ المشحونة بالقلق والخوف مشاعر الانتماء والولاء للوطن، التي تبث في نفسه مشاعر الأمن والاطمئنان.

الخاتمة

عايش ابن المقرب الاغتراب بوصفه تجربة خاصة، استبدت به، وأطبقت عليه الخناق من كل جانب، نتيجة للأحوال السياسية والظروف الاجتماعية التي عاصرها، حيث عاصر واقعا سياسيا متداعيا وأحداثا مضطربة، عصفت بالدولة العيونية، وأثرت في حياته تأثيرا سيئا، وأدت إلى شعوره بالاغتراب.

يعد العامل السياسي هو المصدر المباشر والباعث الأول، الذي أثار في نفس شاعرنا مشاعر الاغتراب، فهو الذي دفعه دفعا إلى الارتماء في أحضان الاغتراب، هروبا من ظلم بني عمه أمراء الدولة العيونية له، وإعراضهم عنه، وتجاهلهم لنصائحه لهم.

يمثل الاغتراب بؤرة إبداع ابن المقرب الشعري، فهو القطب أو المحور، الذي تدور في فلكه معظم فنونه الشعرية من مدح وعتاب وفخر وشكوى...الخ.

جاء الاغتراب في شعر ابن المقرب في أربعة أنماط رئيسة، هي: الاغتراب السياسي، والاغتراب الاجتماعي، والاغتراب الزماني، والاغتراب المكاني.

لجأ ابن المقرب إلى الاستعانة ببعض الوسائل، ليخفف من شعوره بالاغتراب، أهمها: إعلان الصمود والمواجهة، استدعاء الماضي، الحنين إلى الوطن.

لا يزال شعر ابن المقرب حقلا بكرا، يحتاج إلى مزيد من الدراسات الأدبية والنقدية، التي تستجلي سماته الفنية وظواهره الموضوعية.

هوامش البحث

(١) د. عبده بدوي، الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ١٩٨٤، ص ١٨.

(٢) د. فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، الألوكة، ٢٠١٥، ص ٦، د. عادل هنداوي، تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر، مجلة فيلولوجي، كلية الألسن جامعة عين شمس، العدد ٦٧، يناير ٢٠١٧، ص ٦٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب.

(٤) د. أحمد على الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دار غيداء للنشر والتوزيع، العراق، ط الأولى، ٢٠١٣، ص ١٥.

(٥) تجليات الاغتراب في رواية حب في المنفى لبهاء طاهر، ص ٦٥.

(٦) انظر، د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط الأولى، ٢٠٠٦، ص ٣٣ وما بعدها. د. قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، ١٩٧٩، ص ١٣ وما بعدها.

(٧) د. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ٣٥. لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية الجزائر، ٢٠١٣، ص ٤٨،٤٧.

(٨) أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، ت. د. وداد القاضي، دار الثقافة بيروت، ط الثانية، ١٩٨٢، ص ٨٢. وانظر د. حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ١٩٩٥، ص ٦٨ وما بعدها.

(٩) د. عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة الكويت، فبراير ١٩٨٥، ص ٧٣،٧٢.

(١٠) عمران بن محمد عمران، ابن مقرب حياته وشعره، مطابع الرياض، ١٩٨٦، ص ٧٣.

(١١) انظر في تاريخ الدولة العيونية، عبد الرحمن بن عثمان بن محمد آل ملا، تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط الأولى، ٢٠١٤، ص ١٥٠ وما بعدها. علي بن عبد العزيز الخضيري، علي بن المقرب حياته وشعره، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الأولى، ١٩٨١، ص ٢٩. محمد سعيد المسلم، ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي، دار مكتبة الحياة بيروت، ط الثانية، ١٩٦٢، ص ١٦٠ وما بعدها. د. محمد محمود خليل، تاريخ الخليج وشرقي الجزيرة العربية، المسمى إقليم البحرين في ظل حكم الدويلات العربية، مكتبة مدبولي، ط الأولى ٢٠٠٦، ص ٨٦ وما بعدها.

(١٢) الخضيري، علي بن المقرب حياته وشعره، ص ٧١، ٧٢.

(١٣) المرجع السابق، ص ٧٢. وانظر د. عبده عبد العزيز قلقيلة، التجربة الشعرية عند ابن المقرب، ص ٢٦.

(١٤) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ت. د. أحمد موسى الخطيب، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٢٦. التجافي: النبو، العتبى: العتاب، الواجد: من الموجدة: الغضب.

(١٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣١، ١٣٢. اجتاح: استأصل، انبرى: اعترض، يطاولني: يفاخرني.

(١٦) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٤، ٨٥. ابن زائدة: هو معن بن زائدة الشيباني، وكان يضرب به المثل في الكرم.

(١٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٧٦.

(١٨) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٠٩، ١٠١٠.

(١٩) الخضيري، على بن المقرب حياته وشعره، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢٠) د. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ٩٧. جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم

الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، العدد الثامن، ٢٠١٢، ص ٣٥.

(٢١) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ٢، ١٠٦٦: ١٠٦٨. التمكث: التلبث، القراح: الأرض التي لا تصلح للزرع، اللين: النخل.

(٢٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤٨. الأحيمرة: تصغير الأحمرة.

(٢٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٠، ٤٥١. ولت قفاها: أدبرت،

(٢٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٧. العم من النخل: الطوال، الصواري: الطوال، القموع: علائق التمر في المشاريخ، العيث: الإفساد، المداراة: المداهنة والملاينة.

(٢٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٧، ٣٢٨.الشجا: الغصة، الطريف: المال المستحدث، التليد: القديم، الشجو: الحزن، المضل: خلاف الهادي.

(٢٦) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٩. غالكم: غلب على أبصاركم، المزادة: التي يحمل فيها الماء، النقاد: رُذال الغنم.

(٢٧) عمران، ابن مقرب حياته وشعره، ص ٧٧. الخضيري، ابن المقرب حياته وشعره، ص ١٨١.

(٢٨) ديوان ابن المقرب وشرحه، ج ١، ص ٦٥٢. العثرة: السفلة، انشعاب العصا: الافتراق، أقوم معيد: أقوام أوباش.

(٢٩) عمران، ابن مقرب حياته وشعره، ص ٩٧، ٩٨.

(٣٠) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ٢، ص ٧٥٤، ٧٥٥. المتمحل: المحتال، الألاءة: شجر مر، الحميم: النبت، الشقائق: زهرة، الخطائط: الأرض التي يُمطِر حولها ولا تُمطَرُ هي، الأشكل: الكدر، الرمس: القبر.

(٣١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٧٠. الهيم: من بلغ به شدة العطش.

(٣٢) د. نسيمة الغيث، بنية الموضوعات في شعر ابن المقرب، دورة علي بن المقرب العيوني، أبحاث الندوة ووقائعها، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٤، ص ٤٣٠.

(٣٣) جديدي زليخة، الاغتراب، ص ٣٤٩.

(٣٤) أبو الفرج الأصفهاني، أدب الغرباء، نشر د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، ط الأولى، ١٩٧٢، ص ٣٢.

(٣٥) الإشارات الإلهية، ص ٨٣.

(٣٦) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٤٥. الثوى: الإقامة، المساورة: المواثبة، الحشاشة: بقية نفس المريض، الذماء: بقية نفس المذبوح، الرواء: المنظر.

(٣٧) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٢. الخزر: ضيق العين، الحِمام: الموت، غالني: أهلكني، النوادب: النوائح، المآلي: الخرقة التي تمسكها المرأة عند النواح.

(٣٨) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٤: ١٤٦. على رسلك: اتئد، التيه: الكِبر، المضلات: الضلال، الجنادب: ضرب من الجراد، صريره: صوته، الرص: إلصاق بعض الأضراس ببعض، صر عينه، أغلقها، بلقها: فتحها، الحفاث: حية تنفخ ولا تؤذي، الصل: حية خبيثة لا ينفع معها رقية، الصدى: ذكر البوم.

(٣٩) صغير غريب عبد الله العنزي، الاغتراب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٣ هـ، ص ٥٠.

(٤٠) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٢٦٩. السموم: الريح الحارة، عاذ به: لاذ به، ألحموني النائبات: أباحوها دمي لتأكله، الأساود: ضرب من الحيات معروف بالخبث.

(٤١) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، ط الثالثة، ١٩٦٧، ص ٢٤٣.

(٤٢) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٩١. الداء العياء: الذي أعيى الأطباء، الشجا: الغصص.

(٤٣) د. هناء سبيناتي، ظاهرة الاغتراب في شعر منجك، مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع والعشرون، العدد (الأول والثاني) ٢٠١٣، ص ١٨٤.

(٤٤) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه ، ج ١، ص ٢٨٠، ٢٨١. أتحسى: أتجرع، أمتري: استدر، عقابيل: بقايا، الخِلف: حلمة الضرع، أزى: يبس وتقلص،

المقرف: اللئيم، أغد: غضب، العربدة: سوء الخلق، الفئيد: الجبان، العلوص: ابن آوى، التفيد: التبختر.

(٤٥) د. سامي جاسم عبد العزيز المناعي، ابن المقرب العيوني، شاعر الخليج في العصور الإسلامية، حياته وشعره، مطبعة الجبلاوي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص ١٦٦.

(٤٦) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٦٥٨، ٦٥٩. الخلة: الخليل، خدنا مخادنا: صديقا، النوط: الشد، الخيط، القطيع من النعام، الرئال: فراخ النعام، النوط: الشد، الخب: الخداع، الطوية: الضمير، قالي: مبغض، المحْل: المكر، المِحال: الكذب.

(٤٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧٧، ٥٧٨. المصاولة: المواثبة، المزاولة: المعالجة، يصرف نابه: يحك أسنانه، عزني: أعدمني، المخايل: البروق.

(٤٨) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٤، اللبث: الإقامة، الازدرار: الابتلاع.

(٤٩) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦، ٥٧. الدبا: فراخ الجراد، الحكل: كلام لا يفهم، المِحال: الكذب، البيضاء والصفراء: الفضة والذهب.

(٥٠) المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٢: ٣١٤. الجَد: الحظ، الحبر: العالم ، مومسة: فاجرة.

(٥١) المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٠: ٤١٢. الخزر: ضيق العين، المكرمة: الفضيلة.

(٥٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٩. الصور: التماثيل، قيس: يعني قيس بن عاصم السعدي.

(٥٣) الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، ص ٧٥.

(٥٤) هنية مشقوق، الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٧، ص ٣١٥..

(٥٥) د. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ط نهضة مصر، ١٩٢٨، ص ٦٧ وما بعدها

(٥٦) الاغتراب في الشعر العراقي، ص ٧٠.

(٥٧) د. عبد الإله الصائغ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٩٠.

(٥٨) الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، ص ٧٥.

(٥٩) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٦٥٧، ٦٥٨. المصالاة: المكايدة، البت: القطع، الشكال: العقال، النِّيَ: الشحم، الإرار: المخ الرقيق لا خير فيه، الونى: الإعياء.

(٦٠) المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦٤، ٦٦٥. البزاة: الصقور، عطل: الذي ليس له من الحَلْي، الحالي: الذي قد لبس الحلي، اللس: الأكل، وتيمن: ناحية اليمين، الخَلَى: الحشائش.

(٦١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٧٧، ٩٧٨، السليم: اللديغ، الهجوع: النوم.

(٦٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٥٣، ١٠٥٤.الوسنان: النائم، لا لعا: لا أنعشه الله، الغِر: القذر من الرجال، النوال: العطاء.

(٦٣) الاغتراب في شعر منجك، ص ١٦٤.

(٦٤) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه ، ج١، ص ٣٣١. بغاث الطير: ما لا يصاد منها.

(٦٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٨١. التمادي: اللجاج، التعطف: التحنن، تسامى: تَبارى، الرزايا: المصائب.

(٦٦) انظر إبراهيم عبد القادر المازني، الشعر غاياته ووسائطه، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ١٣.

(٦٧) د. فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ص ٧.

(٦٨) الغربة المكانية في الشعر العربي، ص ١٤.

(٦٩) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ٢، ص ٧٩٧، ٧٩٨.اللهذم: القاطع.

(٧٠) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٤. الهون: الهوان، النكس: الضعيف، السيد: الذئب، المكاشح: الساتر العداوة، الخفدد: ذكر النعام.

(٧١) ديوان ابن المقرب، ت. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر مكتبة التعاون الثقافي، ط الثانية، ١٩٨٨، ص ١٥٥. الواثن: الشيء الثابت، المسخد: الخائر النفس، تأبد المنزل: أقفر.

(٧٢) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ت الخطيب، ج ١، ص ١٦٠: ١٦٣. المنشأ: المربى.

(٧٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٣.هجر: مدينة الأحساء، الخط: مدينة القطيف.

(٧٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٦٤٧، ٦٤٨. حشت النار: إذا أشعلتها، الجندل: الحجارة، الصدى: العطش، الصاب: عصارة شجر مر.

(٧٥) أبو تمام ، ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، ت د. محمد عبده عزام، دار المعارف، ط الرابعة، ١٩٨٢،ج ٣، ص ١٠٦.

(٧٦) الخضيري، علي بن المقرب، ص ١٩٢.

(٧٧) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٥٦٧، ٥٦٨. تحدج: يُشدُّ عليها بالحدوج، الزلازل: الشدائد.

(٧٨) المصدر السابق، ج ١، ٥٦٨، ٥٦٩.شكرى: ممتلئة بالدمع، البلابل: الهموم، الخبن: النقص، أكدى الرجل: إذا قل خيره، غثت مآكله: أي رذلت، المزاملة: المعادلة.

(٧٩) الاغتراب في الشعر العراقي، ص ١٦.

(٨٠) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ١١٧، ١١٨. الشغب: تهيج الشر، تكتّب: تجمع، أدين: أخضع، الاصعرار: ميل الخد، ازور: مال، انتضيت السيف: سللته، لم تفلل مضاربه: لم تثلّم.

(٨١) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٦. القاضب: القاطع.

(٨٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨١، ٤٨٢. النجد: الشجاع، العرنين من الأنف: مجتمع الحاجبين.

(٨٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٣. العوْد: المسن من الإبل، السلع: شجر مر، ضربة بكر: قاطعة، الصك: الضرب.

(٨٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٨: ٢٥١. الروس: الأشراف، الذنابى: الدون من الناس. الشكد: العطاء، العتود: المرود، الوغد: الضعيف من الرجال، الشكم: الجزاء.

(٨٥) الاغتراب في الشعر العراقي، ص ٥٢.

(٨٦) د. عبد الرزاق خشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٨٧) ظاهرة الاغتراب في شعر منجك، مجلة جامعة دمشق، ص ١٧٣.

(٨٨) د. مي يوسف خليف، الموقف النفسي عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة ونشر، ١٩٩٦، ص ٤٢.

(٨٩) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٢٩٤، ٢٩٥. حجر القرى: أرض باليمامة، المعهد: المنزل، اللمة: الشعر المجاور شحمة الأذن، الغداق: الغراب، الكاعب: الجارية التي ارتفع ثديها، المزاهر: العيدان، الأغيد: الناعم، القينة: المغنية.

(٩٠) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٧٩، ١٠٨٠. ماوان: قرية باليمامة، الجِنّان: الجن، الجِنان: جمع جنة، الخرعبة: الدقيقة العظام الناعمة.

(٩١) د. محمود سليم هياجنة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دراسة نصية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٥، ص ١١٨.

(٩٢) الاغتراب في الشعر العراقي، ص ٥٤.

(٩٣) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ٢، ص ٨٩٨: ٩٠٣. الوسمي: أول المطر، حِطنا: حفظنا.

(٩٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٠٥: ٩٠٧.شظى: فلق، الحرم: يقصد مكة، السنابك: أطراف الحوافر، أدم: من قرى عُمان، نصوا: نصبوا، بنو الأعمام: يقصد قبائل ربيعة بن نزار.

(٩٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٤٠: ٩٤٢.

(٩٦) الاغتراب في القصيدة الجاهلية، ص ١٠٨.

(٩٧) الخضيري، ابن المقرب حياته وشعره، ص ١٨٣.

(٩٨) ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، ج ١، ص ٨٩: ٩١. الجسرة من الإبل: العظيمة، الغيطان: ما اطمأن من الأرض، الأخاشب: ما غلظ من الأرض، اغتيالها: قطعها، جرعاء الشمال: الأحساء وبها داره وأهله، الجُلى: الأمر الجليل، تهش: ترتاح، القروم: السادة.

(٩٩) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٣: ٣٨٥. صبال: مال، الورق: الحمام، نازعه: جاذبه، الضمار: الشيء لا يرجى رجوعه، منّه: أضعفه، السفار: السفر.

(١٠٠) المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٣. القطين: القاطن أو أهل الدار.

المصادر والمراجع

د. أحمد علي الفلاحي

– الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دار غيداء للنشر والتوزيع، العراق ، ط الأولى، ٢٠١٣.

إبراهيم عبد القادر المازني

- الشعر غاياته ووسائطه، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢.

أبو تمام (حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ت ٢٣١ هـ)

- ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، ت د. محمد عبده عزام، دار المعارف، ط الرابعة، ١٩٨٢.

جديدي زليخة

– الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، العدد الثامن، ٢٠١٢.

د. حسن محمد حسن حماد

– الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ١٩٩٥.

حليم بركات

- الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط الأولى، ٢٠٠٦.

أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤١٤ هـ)

– الإشارات الإلهية، ت. د. وداد القاضي، دار الثقافة بيروت، ط الثانية، ١٩٨٢.

د. سامي جاسم عبد العزيز المناعي

– ابن المقرب العيوني، شاعر الخليج في العصور الإسلامية، حياته وشعره،مطبعة الجبلاوي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

صغير غريب عبد الله العنزي

– الاغتراب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٣ هـ.

د. عادل هنداوي

– تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر، مجلة فيلولوجي، العدد ٦٧، يناير ٢٠١٧

د. عبد الإله الصائغ

– الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥.

عبد الرحمن بن عثمان بن محد آل ملا

- تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط الأولى، ٢٠١٤.

د. عبد الرزاق خشروم

– الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢.

د. عبد اللطيف محمد خليفة

– دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣.

د. عبده بدوي

– الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ١٩٨٤.

د. عبده عبد العزيز قلقيلة

– التجربة الشعرية عند ابن المقرب، ط النادي الأدبي بالرياض، ط الأولى،١٩٨٦.

د. عزت حجازي

– الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة الكويت، فبراير ١٩٨٥.

د. علي بن عبد العزيز الخضيري

– علي بن المقرب حياته وشعره، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الأولى، ١٩٨١.

علي بن المقرب العيوني

- ديوان ابن المقرب، ت. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر مكتبة التعاون الثقافي، ١٩٨٨.
- ديوان ابن المقرب وشرحه، ت. د. أحمد موسى الخطيب، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢.

عمران بن محمد عمران

- ابن مقرب حياته وشعره، مطابع الرياض، ١٩٨٦.

أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسن بن محمد ت ٣٥٦ هـ)

– أدب الغرباء، نشر د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، ط الأولى، ١٩٧٢.

د. فريد أمعضشو

– الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، نشر شبكة الألوكة، ٢٠١٥.

د. قيس النوري

– الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، ١٩٧٩.

لزهر مساعدية

- نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية الجزائر، ٢٠١٣.

د. محمد راضي جعفر

– الاغتراب في الشعر العراقي، مرحلة الرواد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.

محمد سعيد المسلم

- ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي، دار مكتبة الحياة بيروت، ط الثانية، ١٩٦٢.

د. محمد غنيمي هلال

– الرومانتيكية، ط نهضة مصر، ١٩٢٨.

د. محمد محمود خليل

– تاريخ الخليج وشرقي الجزيرة العربية، المسمى إقليم البحرين في ظل حكم الدويلات العربية، مكتبة مدبولي، ط الأولى ٢٠٠٦.

د. محمود سليم هياجنة

– الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دراسة نصية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٥.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ت ٦٣٠ هـ)

- لسان العرب، ت. عبد الله علي الكبير، وآخران، ط دار المعارف، ١٩٨١.

د. مي يوسف خليف

– الموقف النفسي عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة ونشر، ١٩٩٦.

نازك الملائكة

– قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، ط الثالثة،١٩٦٧.

د. نسيمة الغيث

– بنية الموضوعات في شعر ابن المقرب، دور علي بن المقرب العيوني، أبحاث الندوة ووقائعها، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٤.

د. هناء سبيناتي

– ظاهرة الاغتراب في شعر منجك، مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع والعشرون، العدد (الأول والثاني) ٢٠١٣.

هنية مشقوق

- الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٧.